محمد علي الدباسي
عندما يغيب المطر

عندما يغيب المطر

تأليف

محمد علي الدباسي

2024

اسم العمل: عندما يغيب المطر.

اسم الكاتب: محمد علي الدباسي.

التدقيق اللغوي: محمد علي الدباسي

بريد إلكتروني للمؤلف: maldubasi@gmail.com

تواصل اجتماعي: m19aldubasi

تصميم الغلاف: رحاب علي.

رقم الإيداع: 28852 / 2024

الترقيم الدولي: 978-977-971-055-6

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لدار رونق للنشر والتوزيع ، ولا يحق لأى دارنشـــر طبع ونشر وتوزيع الكتاب أو ترجمته أو الإقتباس منه أو نشره على النت إلا بموافقة كتابية وموثقة منها أو من المؤلف.

إهداء ...

إلى صاحبة الفضل الكبير و الفخامة أمي حفظها الله و إلى والدي الغالي رحمه الله ..
إلى شقيقتي الكبرى العزيزة ..
إلى زوجتي الغالية ..
إلى شقيقي الفاضل و إلى شقيقاتي العزيزات ..
إلى رفقاء الطريق ..
إلى صغاري و إلى أبناء أخي و أخواتي ..
إلى الدكتور علي حرب ..
و إلى أبناء و بنات أمتنا و إلى كل إنسان .

مع حبي ..

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمدلله الذي بفضله تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

الحمدلله الذي مكنني لإتمام كتابي **(عندما يغيب المطر)**، وها أنا أضعه بين أيديكم لنعيش معه سويةً شتى قضايا حياتنا، وآلامنا، وكلي أمل بالله بأن نستفيد جميعًا بما فيه، وأن يحالفه القبول، ويهطل المطر، ليحق الله الحق، ويزهر الكون من جديد.

المؤلف

أسلحة لا نتوقعها

عندما نسمع كلمة حرب فإن ما يخطر ببالنا هي تلك الدبابات والمدرعات التي تدخل المدن لتحتلها، وتلك الطائرات التي تقصفها، أو أولئك الأفراد الذين يحولون شوارع المدينة إلى حرب عصابات، ونتناسى بأن هنالك أحداث قد تحدث حولنا، لا تقل خطرًا عما جال ببالنا، ونحن نتخيل شكل الحرب.

نعم، قد تكون مساعدات إنسانية هي شكل من أشكال الحرب.

قد تكون دورات تدريبية هي شكل من أشكال الحرب.

قد يكون برنامجًا في وسائل التواصل، أو على قناة فضائية، هي شكل من أشكال الحرب.

هي أسلحة لا نتوقعها، رغم أنهم يطعنوننا بها.

تصاب الدول بالمجاعات، فتدخل بعض المنظمات من باب إنساني؛ فتبدأ بهدم القيم والمبادئ، وهذه حرب.

تحت شعار تطوير التعليم يتم جلب الخبرات الأجنبية لتصحيح المناهج، فيدس السم في العسل، وهذه حرب.

يبحث الإنسان عن التسلية بين القنوات، فيأتي ذلك البرنامج الذي يهدم قيمه بحجة الترفيه، وهذه حرب.

تقام الندوات، وتكتب الأقلام المقالات، فيستغل البعض الفرصة ويتصدر بعد أن تتم أدلجته بحجة حقوق المرأة والدفاع عنها، أو بحجة المساواة والحرية التي يريدها الجميع أن تتحقق، وهذه حرب.

الحرب يا سادة تجاوزت الدبابات والمدرعات.

الحرب يا سادة تجاوزت الطائرات والصواريخ.

إن الحرب أصبحت أسلحتها على شكل مساعدات إنسانية، أو محاضرات حقوقية.

أو قد تكون في دورات تدريبية، أو برامج ترفيهية، أو غير ذلك بأي وسيلة رأوا أنها مفيدة، لتهدم قيم المجتمع بدل أن تهدم المباني، لأنهم عرفوا جيدًا أنهم عندما يهدمون المباني سيجرمهم العالم، وسيأتي ابن ذلك المجتمع بعد ذلك ويعيد بناء تلك المباني، بينما لو هدموا القيم فلن

تجد من يبنيها، ولو كان ذلك الباني ماهرًا في بناء ناطحات سحاب، لأن بناء الناطحات بحاجة إلى أيدي عاملة، بينما بناء المجتمعات بحاجة إلى قلوب تحييها القيم.

دم شيرين

تابع العالم بألم حادثة اغتيال الصحفية الفلسطينية شيرين أبو عاقلة، مراسلة قناة الجزيرة، بنيران الكيان المحتل الذي أطلق النار عليها وعلى زملائها عمدًا ومع سبق إصرار وترصّد، ولم يراعِ القِيَم والمبادئ، ولا الأعراف الدولية والانسانية.

إن حادثة اغتيال شيرين كانت النهاية الدنيوية لتكون تكريمًا بحق صحفية حرة ناضلت من أجل قضية فلسطين، ووقفت على خط النار أمام عدو غير مبالي بأطفال، أو نساء، أو عجزة، فضلًا عن صحفية رآها ناقلة لجرائمه إلى العالم.

إنّ الكيان المحتل سيتظاهر بإجراء تحقيقات في الحادثة، وكلنا نعلم أنّه المنفّذ والمدبّر، ليبرّئ ساحته على المستوى الدولي، ويظهر للعالم بأنّه عمل فردي غير مسؤول، لكن ذلك لن يغيّر من حقيقة تخطيطهم المسبق، ومسؤوليتهم عن جريمتهم التي اقترفوها بحقّ شيرين.
كل ذلك نؤمن به جميعًا، وكتب عنه الكثير حول العالم، لكننا هنا لابد لنا من أن نشير إلى أولئك الذين كانت حادثة اغتيال شيرين فرصة لهم للمتاجرة بدمها.

رأينا كيف أن النسوية استغلوا اغتيالها للترويج لأهدافهم، فكانت شيرين دون غيرها هدفًا لهم، بدليل عدم اكتراثهم لاغتيالات أخرى قام بها الكيان المحتل، فقط لأن الضحية لا تخدم أهدافهم في نظرهم، ولنا في اغتيال هديل الشلمون عام 2015 على إحدى الحواجز بالخليل عبرة، فقط لأن الضحية كانت محجبة.

رأينا كيف أن البعض استغلوا اغتيالها لتصفية حساباتهم مع من يخالفهم منهجيًا، حتى لو كان ذلك على حساب تأويل هدي نبوي يأمرنا بمناصرة المظلوم ودعمه لمواجهة الظالم، خاصة لو كان ذلك الظالم عدوًا نجمع كل دليل يدينه.

بل ورأينا كذلك كيف أن الخونة ممن لهم مصالح مع ذلك المحتل، وكيف أنهم تاجروا بدم شيرين لتجريم المناضلين، أو التبرير للقتلة وتبرئتهم.

إن اغتيال شيرين كشف لنا كيف أننا لا نجيد استغلال الأحداث دون المساس بحرمة الإنسان، والمتاجرة بدمه.

إنّنا قبل أن نطالب المجتمع الدولي من حكومات، ومنظمات، وجمعيات حقوق إنسان، باتخاذ جميع التدابير القانونية لتجريم وإدانة هذا العمل الإجرامي، ومحاسبة جميع المتورّطين في مقتلها، وقبل أن نطالب بحماية الصحفيين، والكتّاب، في جميع دول العالم، وخاصةً الذين يقعون تحت احتلال غاشم، أو نظام ديكتاتوري ظالم، لابد لنا أولاً من أن نطالب أنفسنا بأن لا نقوم بتعرية كل مناضل صاحب حق لبس ثوب الكرامة، فقط لأنه لا يتفق معنا، ولا كذلك نقوم بالترويج لقضايا أو مواجهة

تيارات أخرى إلا بدليل ونقاشات، لا برش دم أرادت صاحبته أن يسقي أرض تنتمي إليها لتنمو، لا أن يباع في متاجرهم.

الحرب الخفية

يتحدث العالم أجمع عن الحرب الدائرة على اليمن، وعن حجم الاضرار الكبيرة، والمدمرة، وكيف أن الشعب اليمني أصبح يعاني من مجاعة تصنف على أنها الأقسى خلال القرن الحالي.

اجتماعات هنا وهناك هدفها إيقاف هذه الحرب شكلًا، فلا اعتقد أن الساسة المتصدرون لملف حرب اليمن يسعون لإيقافها حقيقةً، فهنالك فوائد يجنونها طالما الحرب مستمرة.

لكن، ورغم مرارة ما يحدث في اليمن فليس ذلك كل شيء.

ليست الصواريخ، والخطف القسري، واحتلال الأراضي، ومناظر البيوت المقصوفة، أو تلك التي تقيم مراسم عزاء لأبنائها، هي فقط المشاهد التي تدل على حرب، فهنالك حرب أخرى مشاهدها تصنف على أنها إنسانية، أو خدمات لوجستية.

نعم هي حرب، ولو تظاهر مشعلوها بتوزيع وجبات الغذاء أو الأدوية، فالثعلب لبس ثوب الطب، لا لعلاج حيوانات الغابة، لكن لمآرب أخرى فهمتها الدجاجة، وفضحته على رؤوس الأشهاد.

والمآرب الأخرى هنا هي تدمير المجتمع من الداخل، لأنهم يعرفون جيدًا أن الحرب مهما دمرت من مباني فإنها ستنتهي، وأن الإنسان بعد

ذلك يستطيع أن يعيدها لأفضل مما كانت طالما يملك قيم ومبادئ، ولذلك تولوا بأنفسهم أمر تلك القيم والمبادئ لمحاولة نزعها من الإنسان اليمني، وتركوا تدمير المباني لآخرين لم يعرفوا من أين تؤكل الكتف، أو أن أولئك الآخرين تقاسموا الأدوار مع تلك المنظمات.

ولأنهم متمرسون على هذا النوع من الحروب اتجهوا صوب النساء، فهن صُناع الرجال، خاصة في مجتمع عربي مسلم كانت فيه الأم هي المدرسة التي تصنع المستقبل.

منظمات تسعى لتدمير المرأة عبر برامج ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، فكم من دورات تعليمية، وبرامج تطويرية لأولئك النسوة، وتحت مسميات براقة، لكنها للأسف تدس السم في العسل، فكان التغريب هدفًا لم يعلنوا عنه في ذلك المنشور الذي ذكروا فيه كل ميزات الالتحاق ببرامجهم.

ما يؤسف حقًا هو أن تلك المنظمات تستخدم أبناء اليمن في حربها، تمامًا كما يفعل الأعداء في حربهم على البنيان والقتل، من الاعتماد على أولئك الخونة.

ومما يؤسف كذلك هو أن بعض وسائل الإعلام، وبعض الشخصيات ممن كانوا ينادوا بالتغيير أصبحوا أداة لتلك المنظمات، يأتمرون بأمرها، ويمجدون ما تصنع.

وما يؤسف كذلك أن هنالك من أولئك الذين مازالوا يقولون: تركتم كل شيء واتجهتم لتلك المنظمات التي أطعمتنا من جوع وآمنتنا من خوف،

ولم يعلموا بأن بعض تلك المنظمات ما فعلت ذلك إلا لنعبد رجسها وأهدافها المرسومة في القاعات المغلقة.

نقول بعض تلك المنظمات.

في مدينة الأحزان

في مدينة الأحزان كل شيء ليس على ما يرام.

كل شيء يدعوا للقلق.

يدعوا للخوف.

مدينة فصولها الأربعة شتاء، ورغم ذلك هي غير ممطرة.

لا صوت يعلوا على صوت الرعد، ولا يضيئها إلا البرق.

الشمس لا تشرق فيها، ليس لشيء، لكن حتى لا يأتي الأمل كل صباح.

قمرها في خسوف دائم، ومصابيح شوارعها معطلة.

لا تستطيع أن تصل إليها إلا بعد أن تطير لها.

أن تحلق بعيدًا بروحك، فلا مكان فيها للأجساد.

أن يكون الحزن متأصلًا في داخلك لا عابرًا.

الكل في صمت، ولو تكلموا فصوتهم أنين لا يفهمه إلا صديقهم المفضل الحزين، لكنهم سعداء بذلك الحزن.

نعم، بانتمائهم لهذه المدينة.

والحزن بالنسبة لهم أنيس، لا عابر سبيل، ولذلك هم مميزون.

مميزون وليسوا كغيرهم، فهم عندما يبحثون ما يذهب أحزانهم لا لأجل أن يتخلصوا منه، لكن ليبحثوا لهم عن حزن آخر.

هم برغم ذلك متمسكون بربهم.

راضون بقضائه، وبكل حزن يرونه رزقًا.

رباب والمنظمات

لم تكن تعلم رباب؛ تلك الشابة التي خرجت من بيتها لقضاء بعض حاجيات أسرتها أنها لن تعود، فلم تودع أسرتها، ولا أطفالها، فالسوق لم يكن بذلك البعد، لكنها بالتأكيد كانت تعلم جيدًا قبل خروجها ماذا تعني كلمة العفاف.

لم تودع رباب أطفالها ليتذكروا قبلاتها الأخيرة، لكنها تركت لهم شرفها الذي سيتغنون به طوال عمرهم.

ماتت رباب ابنة مديرية يريم بمحافظة إب اليمنية، لأنها لم تكن تريد أن تعيش على بقايا قصة أراد ذلك السائق أن ينال من شرفها عنوة، وعندها سيعذرها العالم، لكنها لا تريد أن تلعب دور الضحية.

نعم، رباب ليست ضحية كما يظن البعض، لأنها أرادت أن توصل رسالتها لكل من يظن أن المرأة اليمنية سلعة رخيصة يستطيعون النيل منها مقابل كيس دقيق أو جالون زيت أو قطعة سكر.

لم تفرط رباب في عفافها وهي تشتري بعض الأساسيات بريالات معدودة لتقول للعالم بل وللمنظمات التي جاءت لليمن بأننا كيمنيات لن نفرط في عفافنا ولو فقدنا الدقيق عند موتنا وقد دفعنا ثمنه، فهل سنفرط في عفافنا مقابل دقيق لم ندفع ثمنه؟

لتعلم تلك المنظمات أننا لسنا أغبياء عندما نراهم يركزون على توظيف الفتيات ليخالطوا الشباب؛ في وقت يستطيعوا الاكتفاء بتوظيف الشباب ليتحقق الغرض من هدف تواجد تلك المنظمات؛ لو كان فقط من أجل الإغاثة كما يدعون.

لتعلم تلك المنظمات ومن يقف خلفها بأن اليمن ليست المكان المناسب لمخططاتهم.

لتعلم تلك المنظمات بأن الجميع سيقف لهم بالمرصاد رجالًا ونساءً لكشف تلك المخططات وفضحها، وأننا نعتبر تلك المنظمات إحدى الأسلحة المستخدمة في الحرب الدائرة على اليمن، وسيدفعون ثمن ذلك يومًا لا محالة.

نعم، نحتاج للدقيق، والزيت، والسكر.

نعم، نحتاج للعمل، ولمن يهيئ لنا سبله، لكننا نحتاج أكثر لكل فتاة لتربي أجيالنا وتعدهم للمستقبل، فنحن نتطلع لذلك المستقبل الذي سنعود من

خلاله كما كنا رغم أنوفهم، ولذلك لن نجعل فتياتنا ثمنًا لدقيق، أو زيت، أو سكر، فنحن نشتري كل ذلك بأموالنا لا بشرفنا.

آنستنا يا عيد

تختلف بعض عادات العيد من بلد إلى آخر، بل ومن منطقة إلى أخرى، لكنهم بالتأكيد يتفقون في أنه يوم فرح، وإظهار لنعم الله سبحانه، وصناعة كعك وأصناف الحلويات، وإفطار يجمع الأهل والأحباب، بعد صلاة يؤديها كل المسلمين في أرجاء المعمورة، بعد شروق الشمس وارتفاعها قدر رمح.

ولصلاة العيد لذة خاصة يخرج لأجلها الرجال والأطفال، بل وحتى النساء والفتيات الصغيرات، مرتدين أجمل الملابس والحلى.

ثنتي عشرة تكبيرة توزع على ركعتين يصليها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها كل عام مرتين، لكن لا أعتقد أن ذلك سيتكرر هذا العام أيضًا في كل مكان؛ ففي جزء من أمتنا لن يستطيع أهله أداء صلاة العيد بسب عدم خروج وقت صلاة الجنازة عندهم، والذي أصبح يمتد كل يوم من شروق الشمس إلى شروقها في اليوم التالي مرة أخرى بعد وإصابة ساكنيها بألف رمح، وما بين كل شروق وشروق أمل بنصرة من أمة كُتب له أن يموت تمامًا مثلما مات ضمير العالم.

نعود لصلاة العيد والتي انتهى منها المسلمون، ليقوم إمامهم ويخطب فيهم عن العيد، وأهمية إظهار الفرح والسرور، وعن صلة الرحم، والتوسعة على الأهل والأبناء، ثم الدعاء بدوام النعم، وحفظ البلاد والعباد، وبالتأكيد، وحتى لا تبطل صلاة العيد وخطبتها؛ سيتجنب ذكر جراحات، وعن جرائم المحتلين الصهاينة، والدعاء لأولئك الذين انشغلوا بصلاة جنائز أصابتها رماح أعدائها وخذلان إخوانها، فذلك بالتأكيد لا يجوز الحديث عنه أو حتى الإشارة إليه بدعاء في هذه المناسبة السعيدة؛ لورود حديث يحرم فعل ذلك رواه الحاكم في صحيحه وأخرجه ابن عساكر.

القانون لا يحمي البؤساء

هل أصبحنا بحاجة إلى أن تصبح معاناة المظلوم قضية رأي عام، حتى يخرج ملف قضيته من درج المسؤول للنظر فيها وحلها؟

كم من مظلوم ضاعت قضيته، فقط لأنه لم يكن يعلم بأنه كان ينبغي عليه التوجه إلى نشطاء التواصل الاجتماعي، وليس إلى الجهات المختصة.

للأسف هذا هو الواقع في زمن أصبح العالم الافتراضي هو الحقيقة التي لا بد وأن نلجأ إليها، فلولا وسائل التواصل لم نكن لنعلم عن قضية زهور وأخواتها والتي هزت الرأي العام اليمني، فما حدث لم نتوقع له أبدًا أن يحدث، فاليمن ورغم كل جرائم الحرب المرتكبة لم يجرؤ أحد على الاعتداء على الشرف مهما كان، فالشرف عند اليمنيين ليس خط أحمر بل دم أحمر لكل من يقترب منه، لذلك فلا رحمة ولا تهاون مع كل أطراف القضية، ليكونوا عبرة لمن يعتبر.

والأطراف هنا ليس جاني ومجني عليه فقط، بل وكل من يدعم انتشار مثل هذه القضايا في المجتمع اليمني لخدمة أجندة لها في اليمن مآرب أخرى، ولا أقصد هنا هذه القضية تحديدًا.

إن قضية زهور وأخواتها ليست القضية الأولى التي كانت بحاجة إلى أن تصبح قضية رأي عام حتى يأخذ القانون مجراه، فهناك الكثير من القضايا للأسف والتي مات أصحابها، ودفنت قبلهم قضاياهم، لأن القانون ليته لا يحمي المغفلين كما قالوا قديمًا - وإن كانت عبارة غير صحيحة - فالإسلام حفظ لكل كائن حقه، لكن لأن القانون أصبح ببساطة.. لا يحمي البؤساء.

هزيمتي

في بداية الشتاء اعترفت بهزيمي أمامها.

إنها الهزيمة الأولى لي.

لم أهزم قبل ذلك.

قلت لها ذلك مبتسمًا.

ظننت أن البرد الذي أصابني بعد ذلك هو نزلة.

قلت: يومان وسينقضي.

وها هو الشتاء قد ذهب، وما زال ذلك البرد يشتد بي.

لم أكن أعلم أنها هزمتني بالضربة القاضية، وأن البرد الذي أصابني بعد ذلك كان بسبب تلك الضربة.

لم تكن نزلة.

ولا أعلم لم الطبيب لم ينتبه لذلك!

هل غابت خبرته؟ أم أن هنالك أشياء يجهلها الطب!

لم أكن أعلم كذلك بأن الضربة القاضية قد قتلتني، رغم أنني مازلت أتنفس، وكأن الحياة تواسيني بقليل من هوائها.

وهيهات لذلك الهواء أن يحي العظام وهي رميم.

وزير القهوة

في التشكيل الوزاري لحكومة بابوا غينيا الجديدة؛ شمل تعين وزيرًا للقهوة، في خطوة كانت موضع سخرية لدى الكثيرين في وسائل الإعلام، لكنها في الحقيقة تعتبر ضربة معلم قامت بها الحكومة.

نعم، فبلد تعد فيه القهوة بجانب زيت النخيل مصدر دخل قومي لها، تدر ذهبًا على ذلك البلد الواقع على المحيط الهادي بين إندونيسيا واستراليا، كان لابد من الاهتمام بهذا المصدر، وهذا ما يوازي إنشاء وزارة للنفط كما هو الحال في بعض الدول النفطية، رغم أن النفط عرض من عروض التجارة في البلد، لكن لأنه دخل قومي كانت تلك الوزارة، وذاك الاهتمام الخاص، فبقاء الدول مرهون بقوة اقتصادها بعد المورد البشري.

درس مهم قدمته لنا تلك الحكومة لتستفيد منه الدول في كيفية إدارة اقتصادها القومي والاهتمام بالثروات، والأهم بعد ذلك هو توزيع المردود المادي التوزيع العادل لما فيه خير البلاد.

وأنا أكتب هذا المقال تذكرت بلدي اليمن، وكيف أصبح بها الحال من البلد رقم واحد عالميًا في تصدير القهوة، والتي ما سميت قهوة إلا بسبب ميناء المخا والذي تنطلق منه أكياس القهوة لتحتسيها البشرية، والقهوة التي كانت لا تمر بالمخا لن يحلي طعمها ولا أجود حبات السكر في العالم.

يا ترى ماذا لو عادت اليمن للاهتمام بالقهوة، وأرادت تعيين مسؤولًا لذلك؛ هل سيكفيها أن تعين وزيرًا للقهوة، أم أن بلد بحجم اليمن في إنتاجه للقهوة بحاجة إلى تعيين رئيساً لجمهورية القهوة، وليس وزيرًا، ليدير الإنتاج الهائل والمميز بجودته الخالصة؟ حينها على الأقل سيكون أول منصب يشغله رئيس واحد في بلد أصبح المصدر الأول للرؤساء، وليس للقهوة.

شتاء بلا مطر

لم أعد اهتم لاستقبال الشتاء.

لا يهمني برده.

ولا مطره.

ولا حتى تساقط ثلجه.

لن اشتري ملابس صوفية!

فلا مال أملكه لذلك.

ولا مظلة لتقيني من المطر.

وأين مطر؟

بل أين السحاب؟

فقط سحابة سوداء غريبة فوق رؤوسنا، لم تأتي لتنثر المطر، بل لتُظلم المكان ولا نرى أحدًا.

ولا أحد.

فالجميع اختفى قبل قدوم الشتاء، وبقيت وحيدًا، أنا، والشتاء، وتلك السحابة السوداء.

كل شيء في هذا الشتاء يدل على الوحدة.

الكل مختبئ في جحره.

حتى أولئك الذين لا يجيدون الاختباء، تكفل الشتاء بتغطيتهم.

بدفنهم تحت أكوام الثلوج.

ذلك الثلج الذي ما تساقط إلا لدفنهم.

عجيب أمرهم!

وعجيب أمر هذه الشتاء!

لماذا يتعمدون الغياب؟

لماذا يتعمدون الاختباء، رغم عدم وجود علامات تدل على أنها ستمطر؟

لم لا يواجهون؟

هل تأثروا بمن يتحدثون عن برودة طقس الشتاء؟

ماذا عن برودة تصرفاتهم؟

أم هو هروب؟

أو خوف من مواجهة؟

الخوف هنا أدى لدفنهم تحت أكوام تلك الثلوج.

تلك الثلوج التي ظننا أنها نزلت من السماء، لكنها جاءت من ذلك القصر الكبير الذي يلي التلة.

تمامًا كذلك المطر.

وتلك الرياح التي جاءت بالبرد.

ولا برد.

ولا مطر.

ولا ثلوج.

ولا وطن.

قَسَم تشارلز

أقسم تشارلز الثالث، ملك المملكة المتحدة المتوج؛ على حماية الدين والعقيدة البروتستانتية، والالتزام بما نصت عليه القوانين التي سُنت في اسكتلندا، وكذلك الحقوق من أجل دعم الديانة البروتستانتية، وقوانين المملكة المتحدة، وبما ينص عليه قانون الكنيسة في اسكتلندا لحماية حقوق العبادة.

هل كان تشارلز رجعيًا وهو يقسم هذا القسم، والذي سيلتزم به لا محالة؟

هل كان يخشى وهو يقسم بهذا القسم الحملات الإعلامية التي ستطالبه بفصل الدين عن الدولة، والحفاظ على الدولة المدنية، أم أنه كان واثقًا من أن ذلك لن يحدث؟

لم هذه الثقة لدى تشارلز؟ خاصة وهو يجد كيف أن إعلامه يهاجم غيره من الحكام في الشرق الأوسط لو ذكروا العقيدة في أحاديثهم؛ إلا لإثارة مشاعر الشعوب، أو الحصول على بعض تأييد، أم أن ذلك محرمًا فقط على حكام الشرق الأوسط؟

لماذا لا يطالب المغرمون بالثقافة الغربية زعماءهم بالسير على نهج تشارلز، والتمسك بالعقيدة، وتعاليم الدين، وحماية المعتقد؟ على الأقل سنعيش الحياة بالطريقة الغربية التي يريدونها لنا، أم أن طلبهم هذا معناه العودة إلى دين الإسلام وتطبيق أحكامه على مناهج الحياة المختلفة؟ بحكم أن دين الإسلام هو دين بلاد الشرق الأوسط، ووسط آسيا، وشمال ووسط إفريقيا؟

إن تشارلز فطن كما فطنت والدته أليزابيث، وفطن غيرهما، من ملوك وزعماء الغرب؛ بأن الدين لا بد منه للسيطرة على شعوبهم، وهذا ما يفسر كيف أنه كانت هنالك ديانات كثيرة من قديم الزمان، والتي استحدثها الملوك والسلاطين في ذلك الوقت من أجل السيطرة على شعوبهم، فكان كل حاكم يخترع دينًا جديدًا ليكون عقيدة لقومه يقاتلوا من أجلها، و يقدموا لها أرواحهم، لأن الناس تضحي من أجل العقيدة، ومن أجل الإشباع الروحي، و تتردد لو كانت التضحية من أجل أي شيء آخر، فكان كل ملك يأتي بدينه الخاص، ويؤيده كبارات رجالات الدين في قومه، من الذين لا يهمهم نوع الدين الذين ينتسبون إليه بقدر قربهم من القصر، فيضفون على ذلك الدين الشرعية، وهكذا كانت الديانات، وهكذا كانوا يملكون شعوبهم.

إنهم يعلمون جيدًا من أن الأرض من الصعب أن تقوم بعيدًا عن العقيدة، ويعلمون جيدًا ماذا تعنيه العقيدة عند البشر، ولذلك أشغلوا قومهم بعقائد باطلة يسيرونهم بها، وهذا بالضبط ما يفسر لماذا الإسلام بالذات لا يُراد له أن يتعايشه قومه، لأنه الدين الحق الذي لا يتشكل بحسب ما يريدون، فهو دين السماء لا القصر، ولو تمكن من القلوب لبسط نفوذه، ولكتب السيناريو الأخير لملوك أرادوا أن يكونوا ولا يكون الإنسان.

احتلال الإنسان

انتهى عصر الاحتلال، أو هكذا قيل لنا، فالاحتلال لازال موجودًا لكنه بالتأكيد احتلالًا باردًا، في عالم أصبحت فيه الحرب الباردة أشد فتكًا من الحرب العالمية الأولى والثانية مجتمعتين بكل قنابلهما التدميرية.

لم يكونوا بحاجة إلى إرسال الجنود، بل أصبحنا نتسابق إليهم ليحتلونا، هكذا الأمر باختصار.

نعم، فلم تعد الحياة ممكنة في عالم عربي طغى فيه حكامه، وجاعت شعوبه، وفق خطط مدروسة تم إعدادها، فكان ما كان، وكانت الهجرة إلى عالم غربي رأينا أنه جنة الأرض، ولم نعلم بأن الإنسان هناك وخاصة العربي أو المهاجر يعيش أيضًا احتلالًا آخرًا تحت غطاء الحرية والحقوق.

السوسيال هي مؤسسة الخدمة الاجتماعية في بلاد أوروبا، والتي يفترض أنها تقدم الرعاية والمساعدة للإنسان هناك، أو لمن يلجأ لتلك

البلدان، لكنها الوجه الخفي لمؤامرة كان الهدف منها تدمير الإنسان والسيطرة عليه.

اختطاف الأطفال تحت مسمى الحماية من الأسرة، وليس هذا فقط؛ بل إدخال أولئك الأطفال إلى دور الحضانات لتمرير المخدرات والكحول، والترويج لأفكار المثلية الجنسية والاختلاط بين الذكور والإناث لحرية ممارسة الجنس بعيدًا عن الزواج، إلى غير ذلك، وفق خطوات مرتبة، ودون النظر للبيئة وللمبادئ، أليس ذلك احتلالًا لذلك الإنسان؟

كل ذلك دون رحمة، ودون عدالة، وأين العدالة في سحب الأطفال من منازل ذويهم دون التحقيق في الأمر والتأكد من المعلومات؟ ولو تم التأكد فعلًا من تلك المعلومات؛ فليس من حق أحد سحب طفل من بين أسرته مهما كانت الأسباب، ولو كان هنالك سببًا قويًا يؤكد استحالة أن ينال الطفل التربية السليمة من أحد الوالدين، فالمفترض هنا هو تسليمه إلى الأقرب فالأقرب من أقربائه، وعلاج مشكلة والده أو والدته ليستطيع إكمال تربية الطفل بعد ذلك.

لماذا يتربصون بالأطفال ويحاولون اصطيادهم تحت أي ذريعة، ودون رحمة، ليدخلوهم تلك الحضانات، أو يسلموهم لأسر تم اختيارها بعناية لتؤدي الدور المطلوب؟

هل السوسيال صادقين في نواياهم وهم يسحبون الأطفال من بيوت تعلموا فيها خطورة الأدمان ليوفروا لهم المخدرات في تلك الحضانات؟

هل هم صادقون في نواياهم وهم يسحبون الأطفال من بين والديهم بحجة أن أحد الوالدين نَهَر طفله تأديبًا ليعلمه مكارم الأخلاق، ليسلموا ذلك الطفل لأسرة أحد أفرادها مدمن حشيش أو كحول؟

هل هم صادقون في نواياهم عندما يسحبون طفلًا قال بأنه تعلم في بيت والديه بأن المثلية لا تصح، فيقرروا أن ذلك تلاعب بفكر الطفل، ليذهبوا به إلى حضانة تقوم على ممارسة المثلية؟

هل من الثقافة التي ترتقي بالشعوب والعقول أن يتعلم الطفل حرية ممارسة الجنس؟

ألم تقل مختبراتهم العلمية بأن حرية الجنس مسبب لكثير من الأوبئة؟

أليس من الأولى أن يحموا أولئك الأطفال بل والمجتمع من تلك الأوبئة؟

هل هذه الحماية التي يريدون تقديمها للطفل؟

لماذا يصرون على إفساد أخلاقهم؟

أين حرية اختيار المعتقد كما يزعمون؟

من يقف خلف السوسيال؟

لا أعتقد بأن الحكومات فقط من يقف خلفها، بل هم أدوات لا أكثر كبقية الحكام.

إن السوسيال ليست مؤسسة خدمية بل هي أكبر من ذلك، فقط لنفهم قواعد اللعبة جيدًا.

لابد لكل النشطاء على مستوى العالم أن يواجهوا هذه الجرائم إذا كانوا حقًا نشطاء سلام وحقوق، فالصمت الرهيب تجاه جرائم السوسيال يضع الكثير من علامات الاستفهام، ولابد كذلك لكل الأهالي من فهم حقيقة هؤلاء، وعدم إلقاء أطفالهم إلى التهلكة بالسفر أو الإقامة بينهم بحثًا عن وهم الحياة الكريمة، فلن ينفع بعد ذلك البكاء على اللبن المسكوب.

إن ما يحدث هناك من جرائم تحت غطاء السوسيال يجعلنا نفهم بعضًا من الحكمة التي أرادها الله من تلك الفتوحات الإسلامية التي أرادت أولًا أن تحرر الإنسان من احتلال الإنسان.

تسرب الوقود

الشباب هم مستقبل أي أمة، وعنما نقول مستقبلها فإننا نقصد هنا بأنهم القوة التي تحرك تلك الأمة.

مهما بلغت كمية المعدات العسكرية لأي بلد فلن يكون لها قيمة دون شباب، فهم الوقود والقوة الحقيقية للدول، ونفاذ الوقود يعني ذهاب تلك القوة.

لا أقلل هنا من دور أصحاب الخبرة؛ فبهم يكون للوقود جودته، إنه الإنسان باختصار، به تقوم الأمم ولو ملكت كل الماديات الأخرى.

ونحن نتحدث هنا عن الشباب وبأنهم وقود الأمة تدور في خاطرنا تلك الأسئلة:

أين يذهب وقود الأمة؟

لماذا يتسرب ذلك الوقود من أوطاننا؟

لماذا نجد الشباب ما بين مهاجر بطريقة نظامية، وغير نظامية، وقوارب لا تعرف هل ستواصل المضي نحو وجهتها، أم أن البحر أراد أيضًا أن يتزود بذلك الوقود، لعلمه بأهمية الشباب، وأنهم الوقود الذي لابد منه ليستمد قوته أمام متغيرات المناخ، فيبتلعهم قبل أن تستهلكهم تلك الدول التي سيلقي بهم إليها.

من المؤسف أن تفرط أمتنا في شبابها وتجعلهم أهون القاطنين فوق ترابها، لنجدهم في بلدان يذهبون إليها فيحملون جنسياتها بعد أن تستهلكهم تلك البلدان وقودًا لها.

ننظر لذلك بكل ألم ونسأل أنفسنا:

متى سنكون؟

متى ستعود قوتنا؟

متى نستفيد من وقودنا بدلًا من أن نكون محطات يأتي إلينا العالم ليتزود بالوقود ثم يذهب به دون مقابل؟

باختصار، متى سنستشعر خطورة ذلك؟

شجون ثقافية

هل تعاني الثقافة أم يعاني المثقف؟

لماذا نتراجع ثقافيًا كأمة، ونحن نملك إرثًا لا يُستهان به؟

هل لأن المثقف انشغل عن دوره الحقيقي؟ أم لأنه لم يستشعر حجم الإرث الثقافي؟ أم ظروف الحياة التي حالت دون تأدية دوره الثقافي؟ أم هي معوقات اعترضته وهو يعاني، فكانت القشة التي قصمت ظهر المثقف؟

لا شك أن تلك المعوقات كانت القشة التي جعلت من المثقف يتراجع عن أداء رسالته الثقافية، وأقول أداء لأن نشر الثقافة شيء، وأداء الرسالة الثقافية شيء آخر، فأداء الرسالة ليس في نشرها فقط؛ بل وفي رسم قواعدها.

في أمتنا كم هائل من المثقفين والذين يشار إليهم بالبنان، لما يمتلكون من قدرات ومهارات في تثقيف المجتمع وتنمية الفكر بشكل عام، رغم الصراع الثقافي الملاحظ بين عدة أطياف، لكن ذلك الصراع لم يؤثر

تأثيرًا سلبيًا في تكوين بيئة ثقافية داخل المجتمعات، ولم يكن عائقًا رئيسًا، لكن المعوقات هنا كانت القشة التي ساهمت في ضعف أداء الرسالة الثقافية من قبل المثقف.

قرأنا لكثير من الأدباء، والروائيين، والشعراء، وغيرهم، والذين ساهموا في إيصال الفكر الثقافي للمجتمع، وتكوين مجتمعًا ثقافيًا، ووضعوا حبرهم على الجروح التي تعاني منها المجتمعات، لكن هل تصدر المشهد من يقوم بحمل راية الثقافة وتأدية الرسالة وعلاج تلك الجروح؟

قامت الكثير من الكيانات الثقافية داخل وخارج عالمنا العربي، لكنها بالمجمل أشبه بمنتديات ثقافية لم يتعدى دورها تكوين بيئة ثقافية بين المثقفين، أو المساهمة في نشر الثقافة داخل المجتمع، سوى اجتهادات سرعان ما تواجه معوقات حالت دون استمراها، والمعوقات هنا إما أنها داخلية أو خارجية.

لا يملك المثقف أمام المعوقات الخارجية إلا تكوين رأي ثقافي عام يواجه به تلك المعوقات، وهنا قد يناضل كثيرًا من أجل أن ينمو ذلك الرأي ويسقيه من دمه قبل حبره.

إن المثقف العربي وهو يواجه تلك المعوقات الخارجية وكأنه في رحلة يعاني فيها من وعثاء السفر وكآبة المنظر، وغالبًا ما ينتهي به الحال إلى

سوء المنقلب، فالبيئة الخارجية تؤمن بأن الثقافة هي قوة ناعمة لو لم يروضوها داخل القصر لحاصرتهم خارجه.

المعوقات الداخلية التي يواجهها المثقف داخل البيئة الثقافية؛ أو لنقل يتسبب بها ذلك المثقف؛ تحول بالتأكيد دون تأدية رسالته، فالمثقف يطمح لأن يبني له اسمًا ثقافيًا من خلال ما يكتب أو ما يقدم، وهذا من حقه، فيشغله ذلك عن تأدية تلك الرسالة، وهذه مشكلة، فبناء الاسم لا ينبغي أن يسعى إليه المثقف، بل يترك ذلك للوقت، فهو كفيل بذلك، والوقت هنا تاريخ لا يُنسى، ولذلك ومع حرصه على صناعة اسم فإنه قد يقدم تنازلات لأي طرف من أجل أن يصل، وهنا قد يصل إلى خيانة رسالته، وهنا لنسأل أنفسنا أسئلة مهمة وهي:

هل كل مثقف لا بد وأن تكون له رسالة يؤديها للمجتمع؟

كيف نتهمه بالخيانة على شيء ليس بواجب عليه؟

لماذا نطلب من المثقف بأن يكون له دورًا مجتمعيًا، وهو من حقه أن يكتب فقط للمتعة، أو لأجل كسب قوت يومه؟

لابد أن نعلم ونحن نطرح تلك الأسئلة بأنه لابد وأن نفرق بين من يحاول أن يعالج المشهد الثقافي من خلال ما يملك، وبين من ينتمي للثقافة مجرد انتماء، وبالتالي ليس كل مثقف أمامه رسالة، فهنالك من

ينتمي للثقافة ولا يتعدى دوره بعض الكتابات الشخصية شعرًا، أو نثرًا، أو نقدًا، لا علاج قضايا الإنسان وهمومه.

من المهم أن لا نغفل نقطة مهمة، وهي أنه ونحن نتحدث عن البيئة الثقافية والتنازلات أن نعرج لتلك التنازلات التي يقدمها المثقف باسم المؤسسات الثقافية من أجل بقائها، وهذه نقطة لا ينبغي تجاوزها، فالمؤسسات وجدت لصناعة قوة ثقافية تعين البيئة الثقافية وتحمي المجتمع، وهذا ما يغفل عنه من ينتمي لتلك المؤسسات أحيانًا، فيروض تلك المؤسسات من أجل إرضاء البيئة الخارجية أيًا كانت، أو أنه يستخدم تلك المؤسسات الثقافية لخدمة أجندات، أو يتصدر تلك المؤسسات لتلميع اسمه أو صناعته، أو حتى لمجرد حضور تلك المؤسسات ببعض الأنشطة أو البرامج، ويظن أن بذلك الحضور الثقافي قد أدت الرسالة، وبلغت الأمانة.

إن المؤسسات الثقافية لها دور ليس فقط في تكوين بيئة ثقافية، بل وحمايتها لتستمر ولتكون لتلك البيئة قيمة يستطيع كل من فيها من تأدية الرسالة الثقافية، وصناعة المجتمع، وعلاج مشكلاته، وهنا قد يقول قائل بـأن حماية المؤسسات الثقافية لا بد وأن يكون بيد الحكومات، وهذا كلام صحيح، لكن المؤسسات لابد وأن تفرض احترام الحكومات لها حتى تفرض على تلك الحكومات حمايتها، فلن يحميك إلا من يحترمك.

إن المؤسسات الثقافية تستطيع أن تفرض احترامها من خلال تمسكها بمبادئها، وحرصها على الحفاظ على الموروث الثقافي، وعدم تقديم التنازلات لإرضاء أي طرف مهما كان.

إننا نمر بظروف استثنائية في ظل ثقافة دخيلة تريد هدم ثقافتنا، وهنالك تحديات ليست بسبب قوة الثقافة الدخيلة، لكن في ضعف مواجهتها من قبل المؤسسات الثقافية، لعدة أسباب منها ضعف الدعم الحكومي للمؤسسات الثقافية في مواجهة الحروب الفكرية القادمة من تلك الثقافات الدخيلة، فالمؤسسات لن تقوم بواجبها في إيقاف المد الفكري الخارجي دون حماية النظام، لأن المسألة هنا هي أمن قومي، فالحروب ليست أسلحة فقط، بل وفكر، فكان لزامًا على المثقفين وعلى المؤسسات الثقافية توعية الأنظمة حتى تكون في مستوى قوة حمايتها؛ إن كانت تلك الأنظمة نزيهة وستقوم بدورها، لتستطيع الثقافة بعد ذلك أن تحمي مجتمعها وترتقي بفكره.

إننا لا نرفض الثقافات الخارجية، فهي مرحب بها طالما ستساهم في الرقي الإنساني، لكننا نرفض أن تغير تلك الثقافات في المبادئ الإنسانية والفطر السليمة.

إن الثقافات ترتقي بالأمم، وأن كل دخيل بمسمى ثقافة لا يعد ثقافة؛ بل هو سلاح يستتر بالثقافة لن يكشفه إلا ثقافة حقيقية قائمة، ولن تقوم تلك الثقافة الحقيقية لتحمي فكر مجتمعها بعيدًا عن ما سبق.

الشذوذ أزمة أم حقوق

هل أصبح العالم الغربي يعاني من أزمة أخلاق؟

لو كان الأمر كذلك لماذا نفكر بالهجرة دائمًا إلى الشمال؟

لماذا نتحدث دائمًا عن النظام في بلاد الغرب، ونتغنى بذلك؟

كيف يمكن لدولة قانون كما يقولون ذلك عن أنفسهم أن تتراجع أخلاقيًا؟

هل فعلاً ما نشاهده اليوم هو انحطاط للأخلاق والقيم؟ أم أن ميزاننا لحساب القيم والأخلاق كان خاطئًا، وأن العالم الغربي بتقدمه التكنلوجي والمعرفي أراد تصحيح تلك المفاهيم لنا؟

تناقلت وسائل الإعلام في العالم خلال الفترة الماضية مناداة الكثير من المنظمات والهيئات، بل وحتى من الأجهزة الرسمية لكثير من الدول الغربية بالدعوة لحقوق الشواذ، وأنه لابد من أن تُحترم تلك الحقوق وتُحترم مطالبهم.

من المعلوم لدينا بأن الشواذ ينادون بممارسات غير أخلاقية لا يقبلها عاقل وغير عاقل، فكيف نصنف تلك المطالبات بأنها حقوق ونقوم بتوفير مساحات لهم لممارسة طقوسهم؟

ما مفهوم الأخلاق في نظر العالم الغربي حتى عد ذلك عمل أخلاقي؟ أم أن مساحة الحرية تجاوزت حتى الأفعال اللاأخلاقية؟

ما مفهوم الحرية لديهم؟

هل من الحرية أن نقبل أي ممارسة مهما كانت، حتى لو غيرت من قيم المجتمع؟

لو كان الأمر كذلك؛ لماذا تم التضييق على نجم المنتخب الألماني المسلم مسعود أوزيل عندما تحدث عن ما يتعرض له الأيغور كمثال؟

بل لو كان الأمر كذلك لماذا لا يعطون للأسر المسلمة الحرية في تنشئة أطفالها كما تريد بعيدًا عن اضطهاد السوسيال لتلك الأسر؟ مع العلم بأن كل تلك الأسر حريصة على الالتزام الأخلاقي لأبنائها.

هل من الأخلاق أن أعرض على طفل لا يتجاوز عمره العشر سنوات موضوعات في المدرسة تتحدث عن الشذوذ الجنسي؟

ماذا عن حقوق المحجبات في فرنسا؟

عن حقوق أصحاب البشرة السوداء في أمريكا؟

عن حقوق المسلمون في الهند؟

قد يقول قائل أنها قوانين الغرب، وأنه لابد وأن تُحترم، وأن لهم الحرية في فرض ما يرونه مناسبًا وفق القيم التي يرونها، حسنًا، أين كانت تلك القوانين عندما تأتي وزيرة داخلية بلد أوروبي تطالب دائمًا الجميع باحترام القانون في بلدها لتأتي وتنتهكه في قطر وتعرض شعار المثلية في ملاعبها خلال كأس العالم، رغم علمها بمنع قطر لذلك؟

إن القضية ليست في أخلاق، أو حرية، أو قانون، بل القضية أكبر من ذلك بكثير.

إن القضية هي صراع بين قوى الخير والشر في هذا العالم، وأن الشر وجد في تلك البلاد الغربية جنودًا لنشر ذلك الشر في العالم؛ والذين قاموا بتجنيد آخرين في الجزء الشرقي من ذلك العالم.

إن قوى الشر تريد السيطرة على العالم من خلال السيطرة على البشر عن طريق نشر الرذائل لينغمسوا فيها، وليصبحوا ألعوبة في أيديهم، ليمكنهم ذلك الانحلال الأخلاقي من فرض ما يرونه دون مضايقات.

إن ما يحدث في هذا العالم يجعلنا نستشعر أهمية إقامة حكم الله فوق هذه الأرض، لأن الأرض متى ما تلبست بقانون الله عمت فيها حرية حقيقية غير تلك المزيفة التي يعيشها العالم اليوم، وحينها سيستطيع كل إنسان

من تأمل هذا الكون بعيدًا عن مؤامرات قوى الشر في هذا العالم، وعندها سنرى مع أي قوى سينضم ذلك الإنسان صاحب الفطرة السوية.

ماذا لو انقرضت اللغة العربية؟

على مر التاريخ كانت هنالك الكثير من اللغات التي انقرضت، حالها حال الكثير من الكائنات الحية، والتي عاشت منذ قديم الزمان، ويعود ذلك لعدة أسباب من أهمها وفاة المتحدثين بها نتيجة الكوارث الطبيعية، أو الحروب، أو قد يكون ذلك بسبب الاستعمار في بعض البلدان، والتي حاول فيها المستعمر فرض ثقافته ولغته، وغير ذلك من الأسباب التي أدت لانقراض تلك اللغات.

في إحصائية للأمم المتحدة ذكرت بأنه كانت هنالك أكثر من 20 ألف لغة، لم يتبقى منها إلا 6500 لغة، منها 2000 لغة مهددة بالانقراض.

بالتأكيد أن هذا العدد الكبير من اللغات يشمل لغات لا يتجاوز عدد المتحدثين بها سكان قرية واحدة، والكثير من هذه اللغات بالتأكيد ستندثر في يوم ما، لكن ماذا لو كانت اللغة العربية هي إحدى اللغات المهددة بالانقراض؟

هل فعلًا يمكن أن تكون اللغة العربية من اللغات المهددة بالانقراض؟

هل من الممكن أن نجد يومًا معلقة لشاعر جاهلي داخل كهف مهجور، فنضعها في متحف على أساس أنها نقوش ربما تعود لإحدى بلاد ما يسمى بالشرق الأوسط، على ورقة يقال أنها مصنوعة من جلد ثعلب بري عاش منذ مئات السنيين في صحراء سيناء؟

من المستحيل أن يكون الأمر كذلك لعدة أسباب؛ أهمها قوة لغتنا العربية، والمصادر والمراجع العلمية الكثيرة للغة العربية، فنحن نملك إرثًا أدبيًا ولغويًا كبيرًا لا يستهان به، لا نجده في أي لغة أخرى، وهنالك علماء من أهل اللغة الذين تصدروا رسم قواعدها وتعليمها، لكن من الممكن أن نجد في المستقبل من يصعب عليه فهم الكثير من الكلمات العربية الفصيحة، وعندها قد تصبح لغتنا لغة نخبوية (ولا أقصد هنا أنه لابد من أن يفهم العربي كل المصطلحات اللغوية، فهذا يصعب حتى على الكثير من الأكاديميين، وذلك لغزارة المصطلحات بها، وهذا مما يميز اللغة العربية عن غيرها)، ويعود صعوبة الفهم هنا وأنها قد تصبح نخبوية إلى:

1- الزحف الكبير للهجات العامية الوطنية الدارجة عند العربي، وتعزيز الانتماء والتعصب.
2- دمج المصلحات الغربية داخل الجمل العربية بسبب الإعجاب بالثقافة الغربية.

3- الاستسلام للمصطلحات الأجنبية الجديدة الناتجة عن التطور الرقمي والتكنولوجي، دون البحث عن مرادف عربي لذلك المصطلح لنعتمده في محادثاتنا وكتاباتنا، وعدم السعي لتعريب البرامج التكنولوجية.

4- انتشار المدارس العالمية داخل الوطن العربي، وقوة مناهجها الدراسية مقارنة بالمناهج المحلية.

5- الحديث داخل الفصول الدراسية في المدارس المحلية بلهجات عامية في غير حصص اللغة العربية بين الطلاب والمدرسين.

6- غياب الاهتمام باللغة العربية داخل المنزل في الحديث بين الوالدين، أو على الأقل مع الأبناء، مع الحرص على تعليم الأبناء للغة أجنبية مرغوبة في سوق العمل.

7- عدم الحرص على تعريب العلوم التطبيقية في الجامعات، ودراستها باللغة العربية، رغم أن مصادر تلك العلوم يعود للكتب العربية القديمة، وهنا نشيد بالجامعات السورية، وبعض الجامعات في المغرب العربي والعراق، والتي التزمت بتعريب تلك العلوم في جامعاتها، وقد وقفت على دراسات أجرتها جامعة الملك فيصل بالسعودية، وكذلك الجامعة الأمريكية ببيروت، بأن الطلاب الذين يدرسون الطب باللغة العربية تزداد

نسبة استيعابهم بنسبة 15%، وتزداد سرعة قراءتهم للنصوص بنسبة 43%.

8- حرص الشركات والمؤسسات داخل الوطن العربي على التعاملات والمراسلات بلغات أجنبية غير اللغة العربية داخل تلك الشركات والمؤسسات، بل وحتى بين موظفيها.

9- تقصير الكيانات الثقافية والجامعات المتخصصة والأكاديميات في تأدية رسالتها، والاكتفاء بالندوات والبرامج التقليدية، دون بلورة المخرجات إلى واقع عملي، أو حتى الحرص على ذلك.

10- اتجاه الكتاب والمثقفين إلى الكتابة باللغة العامية شعرًا ورواية، وكذلك في برامج وأفلام كرتون الأطفال، بحجة أنها الأكثر وصولًا للناس، وعدم وضع حد لذلك من قبل دور النشر وشركات الإنتاج، والجهات ذات العلاقة.

11- عدم الاعتزاز باللغة العربية من قبل أبنائها، وعدم استشعار تمثيلهم لها في الخارج أو بين غير الناطقين بها.

أخيرًا لنعلم بأن اللغة العربية لغة لن تموت طالما تغرد العصافير، لكن عقوق أبنائها لها قد يجعلها تعيش بقية عمرها على أجهزة التنفس الصناعي داخل مجاميع اللغة العربية، فاقدة لفيتامين ضاد، والذي لا يمكنها الحصول عليه إلا من أفواه أبنائها.

مطلوب سكرتيرة

تصدرت صفحات الوظائف في الصحف والمجلات، وكذلك مواقع التوظيف في الوطن العربي اهتمامات الناس، فهي الأكثر مشاهدة، ومتابعة من قبلهم.

الكل أصبح يبحث عن وظيفة في ظل أزمات اقتصادية نعاني منها في أوطاننا، ولا أعتقد بأن الوظيفة فقط هي الحل في ظل تدني الأجور بسبب جشع أصحاب الأعمال وتفكيرهم الرأسمالي.

مطلوب سكرتيرة، عنوان يتصدر الكثير من تلك الإعلانات، وطلبات الوظائف، وكم هو مؤلم ذلك العنوان؛ والذي يراد منه استغلال المرأة وحاجتها للعمل.

العمل ليس محرمًا على المرأة طالما هو وفق ضوابط ديننا الحنيف وهنا لا يأتي قائل ليقول: وهل سيقوم الدين الحنيف بتوفير متطلبات المرأة المالية؟

يقولون ذلك وهم لا يعلمون بأن الإسلام قد رتب للمرأة كل شيء، وقدر لها كل الحقوق من بيت المال في حال حاجتها المادية، ويبقى التنفيذ على من تولى أمور المسلمين في إعطائها كل حقوقها، وحقوق كل محتاج.

جميعنا يعلم متطلبات وظيفة سكرتير، حيث أنه لابد لمن تقوم بتلك الوظيفة من تنسيق، وترتيب الحياة العملية لمديرها، وهذه أمور تتطلب تجاوز الكثير من الرسمية لنجاح السكرتيرة لأداء هذه المهمة بالشكل اللائق، في غالب الحال.

عند حديثنا عن وظيفة السكرتارية لا يعني ذلك أن بقية الوظائف ليست بأقل خطورة منها على المرأة، فالاختلاط في العمل شر في كل أحواله، كذلك لا يعني ذلك بأن كل سكرتيرة وقعت في المحظور، فكم من امرأة دخلت ميدان العمل وحرصت كل الحرص على أن تبتعد عن كل محظور لا يقبله دينها ولا تقاليد مجتمعها.

من المؤلم أن تجد امرأة تهتم بمواعيد رجل يقال عنه مدير لتنظم له التزاماته، ومواعيده العملية، بل وحتى الخروج معه أحيانًا لاستقبال الوفود والعملاء، لأنها سكرتيرة.

نعم هو مؤلم أن تكون تلك المرأة وكأنها الشخص الأقرب لذلك المدير بين كل منسوبي العمل.

تصبح هي الشخص الوحيد الذي يستطيع الدخول على المدير في أي وقت دون غيرها، بل وأحياناً دون حتى طرق الباب.

تصبح هي الشخص الوحيد التي تعرف بتفاصيل مديرها، وهي التي يختارها المراجعون دون غيرها من الموظفين لعرض موضوعاتهم وقضاياهم على المدير، لأنها أعلم بالحالة النفسية له، والوقت المناسب لذلك.

لماذا سكرتيرة؟

هل من الصعب على الرجال أن يقوموا بهذه الأعمال؟

لماذا يتم التسويق لأن تكون هذه المهنة خاصة بالمرأة؟

هل لأن ذلك جزء من خطة لانحلال المجتمع؟

لماذا يحرص بعض المدراء على وجود الجنس الآخر لشغل هذه الوظيفة؟

هل لأنهم يفضلون وجهًا حسنًا يستقبل المراجعين والوفود؟

هل لأن كل جنس يفضل الجنس الاخر للتعامل معه؟

كيف يقبل زوج أن يشاركه في زوجته رجل آخر تهتم به وبتفاصيل أعماله تحت مسمى سكرتيرة؟

كيف تقبل اسرة أن يتركوا ابنتهم لرجل لا يحق له الانفراد بها لتدير شؤونه ولو كان ذلك تحت مسمى عمل؟

هنالك بالتأكيد من سيقول بأنه لا ينبغي أن يُساء الظن لوجود سكرتيرة لمدير أو مسؤول، وأن الأمر لا يعدوا عن كونها وظيفة في مكان عام يتم شغلها وفق ضوابط وأنظمة إدارية، لكنهم بالتأكيد يتناسون الكثير من النظريات التي تتحدث عن العلاقات الإنسانية التي تتطور من خلال التعايش في بيئة مغلقة، وإن جمعت أكثر من شخص، من ست إلى ثمان ساعات يوميًا.

إن النظريات والدراسات التي يؤمن بها الكثير من بعض دعاة الحقوق لن يلتفتوا بالتأكيد لتلك النظريات والدراسات الإنسانية التي تتحدث عن التعايش وتطور العلاقات، لأنها باختصار تفسد مخططاتهم.

هل كان هنالك احتلال عثماني؟

هل حقًا كان هنالك احتلال عثماني لبلداننا العربية وغيرها من بلداننا الإسلامية كما نقرأ ونسمع ونشاهد حاليًا في بعض وسائل الإعلام؟

هل ما ذكروه هنا بخصوص الدولة العثمانية كان صحيحًا؟

ما هي المعطيات التي نستطيع من خلالها الإجابة على هذا السؤال؟

وما هي مصادرنا التاريخية؟ أم يكفينا هنا ما ذكره بعض المعاصرين؟

من هم بعض المعاصرين هنا؟ وأين المعطيات العلمية أو التاريخية التي استندوا عليها؟

متى نسمي السيطرة استعمارًا أو احتلالًا ومتى نسميها فتحًا؟

ما الفرق بين الاحتلال والاستعمار والفتح حتى نستطيع تحديد ماذا كانت عليه الدولة العثمانية؟

بالتأكيد نعلم جيدًا الفرق بين الاحتلال والذي يعني السيطرة على البلد عسكريًا وإداريًا، وبين الاستعمار والذي يزيد عن الاحتلال بالسعي لتغيير هوية البلاد الاجتماعية والثقافية بهوية المستعمر، بينما الفتح هو السعي لاستعادة البلاد لحريتها، والتعاون مع أبنائها للنهوض بالبلد، وقيادتها نحو التطور في كافة المجالات، مع الحفاظ على ثقافتها وهويتها وفق المبادئ والقيم الإنسانية، لكن أين كان يقف الحكم العثماني من ذلك؟

هل سعت الدولة العثمانية لتجريد سكان البلاد التي وضعت يدها عليها من المناصب الإدارية والعسكرية؟

هل قتلت أبناء البلد، وانتهكت محرماتها، واستحلت خيراتها؟

هل فرضت عليهم ثقافتها وعاداتها وتقاليدها كما حدث مع الاستعمار الفرنسي والإنجليزي وغيرهما كمثال؟

لنأخذ مصر كمثال: كيف دخلها العثمانيون وكيف دخلها الإنجليز؟ وكيف تصرفوا مع أبنائها؟

مثال آخر، الجزائر، كيف دخلها الفرنسيون؟ وما قصة شهدائها؟

وكيف كان العثمانيون في الحجاز، واليمن، وفلسطين؟

هل حقًا كانت هنالك حدودًا قبل ذلك بين دولنا العربية والإسلامية تجاوزتها الدولة العثمانية، أم أن تلك الحدود والتي سميت بحدود سايكس وبيكو هي النتائج التي خطط لها الغرب بعد سقوط الخلافة العثمانية ليسهل عليهم السيطرة؟

إن ما نسمعه في وسائل الإعلام اليوم من تسمية الحكم العثماني بالاحتلال أو الاستعمار هي محاولة لتشويه تلك الدولة التي استمرت لما يقارب ستة قرون، والتي كانت شوكة أمام الامبراطوريات القائمة في تلك الفترة بما تحمله من قيم استخلصتها من دين كان دستورها.

إنها محاولة من العالم الغربي لتشويه فكرة عودتها من جديد تحت أي مسمى، ومن أي منطقة جغرافية كانت، وليس شرطًا أن تنطلق من اسطنبول، فقد سبقتها إمبراطوريات قامت من المدينة، وبغداد، ودمشق، وغيرها كانت تحمل نفس المبادئ التي استمدتها من الدين الإسلامي، وخطت نفس الخطوات التي خطتها الخلافة العثمانية، وإن العودة هنا تشكل تهديدًا كبيرًا للعالم المتجه نحو الانحطاط الأخلاقي بحسب ما هو مخطط له.

إن العالم الغربي متيقن بأن كل امبراطورية قامت في هذا العالم وعلى مر العصور لن تستطيع أن تعود مرة أخرى، لأنها قامت على مبادئ ظالمة، وهدامة، ومخالفة للفطرة الإنسانية، بعكس الامبراطوريات التي

أقامها الإسلام منذ عهد النبي ﷺ، والتي تستطيع أن تعود من جديد وإن اختلف المسمى طالما هي موافقة للفطرة على الأرض، ولمراد رب السماء، وبالتالي كانت الحملات التشويهية إحدى الخطوات التي خطاها العالم الغربي، وصرف عليها، وجند لها لتخويف الشعوب من عودة الحكم الإسلامي مرة أخرى.

كي لا يعلمون

اعتقد أنه بات من الصعب أن تقام كأس العالم مرة أخرى في الشرق الأوسط.

ليس لذلك علاقة بحجم الإمكانات المادية والبنية التحتية لمثل إقامة هذه البطولات، فالكثير من دول الشرق الأوسط تمتلك من الإمكانات ما يؤهلها لذلك، بل أن بعض الدول في أوروبا أو أمريكا ممن نجحت في استضافة كأس العالم أو الأولمبياد سابقًا كانت أقل قدرة من بعض دول الشرق الأوسط، واستطاعت التنظيم، ولذلك ليست المشكلة في التكاليف المادية أو البنية التحتية لتكون عائقًا أمام إقامة كأس العالم مرة أخرى على أرض شرق أوسطية، لكن بسبب حضور المشجعين من كل أرجاء العالم، ومشاهدة المجتمع الشرقي هنا على أرض الواقع أثناء إقامة المونديال، أو من خلال تسليط الضوء على العادات الاجتماعية للبلد المستضيف، فهي السبب الرئيس في ذلك، فحضورهم ومشاهدتها هنا أو تناقل عاداتهم عبر وسائل الإعلام أثناء البطولة عن طريق وسائل

التواصل الاجتماعي يكشف الكثير من الأمور والتي كان يخفيها الإعلام الغربي، أو ينقلها بصورة خاطئة عن مجتمع الشرق الأوسط، ثم يصورها الإعلام الغربي على أنها مجتمعات متخلفة تعيش في جاهلية، ولا تتقبل الآخر، وتفتقد للكثير من العادات السليمة، ليس من ناحية تعاملهم مع الآخرين فحسب؛ بل حتى في تعاملاتهم فيما بينهم.

كذلك تكشف الاستضافة للناس مدى الانهيار الأخلاقي التي تعيشها المجتمعات الغربية وهم يرون كيف أن المجتمعات الشرقية ترفض العادات الأخلاقية السيئة كالمثلية، والتحرش، واغتصاب الأطفال، وتتميز تقديس الأسرة، والوالدين، وغير ذلك.

كذلك قضية المرأة ومكانتها في المجتمع الشرقي من أهم القضايا التي كان الإعلام الغربي ووفقًا لأجندة تتبناها منظمات سرية ينقل الكثير من الأمور الخاطئة عنها، ومن أن المرأة مضطهدة، لكن ما شاهدته الجماهير في قطر؛ وكيف أن للمرأة قيمة ومكانة داخل الأسرة والمجتمع، وكيف تحترم كأم، وزوجة، وأخت، وابنة، بل وحتى لو كانت وحيدة فلها احترامها وتقديرها؛ جعل تلك الجماهير، بل وكل الناس ممن يتابع المونديال يعيد التصور في ما كان ينقله الاعلام عن هذه القضية، وحقيقة مكانة المرأة، والتي كانت المرأة الغربية تحلم بها

ولم تكن تتصور بأن هنالك مكانًا في هذا العالم من الممكن أن يعطي المرأة كل تلك الحقوق.

كذلك شاهدت الجماهير تعامل المسلمين مع الناس، وطريقة آدائهم للصلاة، فكثيرًا ما كان الإسلام والمسلمين هدفًا للحملات الإعلامية الغربية مدعومة بعملاء من داخل الشرق الأوسط للترويج للإسلاموفوبيا، ونجحوا إلى حد كبير في زرع الخوف من الإسلام، خاصة مع الحرب الأمريكية على أفغانستان، والعراق، والترويج الإعلامي الداعم للحرب، والتي لم تنتهي بخروج القوات الأمريكية والأجنبية، بل مازالت الحملات الإعلامية مستمرة حتى مع جهود الحكومة الأفغانية في بناء البلاد، والتي مازال الإعلام الغربي يصور هذه الجهود على أنها انتهاكات لحقوق الإنسان في تلك البلدان.

كيف سيفكر المشاهد الغربي لديهم ويقارن ما يحدث في بلاده من انتهاكات السوسيال في أوروبا بحق الأطفال، وبين المعاملة الجيدة للأطفال في الشرق الأوسط؟

كيف سيفكر وهو يرى المرأة هنا وهناك؟

هل سيصدق من أن الإسلام دين عدواني؟

إن ما شاهدناه من خلال عدم التزام بعض الساسة أثناء حضورهم لبعض مباريات المونديال بضوابط وأنظمة البلد المستضيف، من خلال إظهار شارة المثلية كمثال؛ ليس بسبب دعمهم للقضية فقط؛ لكن كانت كذلك ردة فعل منهم وهم يرون أبناء بلدانهم منبهرين بالثقافة الشرقية، وأن جهود سنوات في رسم صورة سيئة عن هذه البلدان ذهبت سدى خلال أيام فقط عاشها المشجعون في شوارع ذلك البلد الشرقي، بعيدًا عن أكاذيب الإعلام، وتشويش الساسة والمنظمات في الغرب، بل وحتى الشرق.

صحيح بأنه كانت هنالك سلبيات في استضافة كأس العالم في قطر من خلال بعض الممارسات السلبية، وغير ذلك، وهذا أمر طبيعي، لكنه بطبيعة الحال كان الهدف الذي سجله الغرب في نفسه، وكما يقال في عُرف كرة القدم هدف بنيران صديقة.

لنسير على طريق الغرب

هل قرار فصل الطلاب عن الطالبات في الجامعة قرارًا صائبًا؟

هل وُجدت الجامعات من أجل فرد العضلات، والعودة إلى قرارات رجعية تركها المجتمع الغربي منذ عقود، بل منذ قرن مضى لنُصر على إعادتها أو التمسك بها الآن؟

لماذا دائمًا نسيء الظن بمجتمعاتنا؟ ولماذا نلعب دور الجلاد دون أن تكون هنالك جريمة منظورة أمامنا؟

هل الجامعات بحاجة إلى أن ننشغل بهذه القرارات الإدارية عن الاهتمام بدورها الجوهري في نشر العلم والمعرفة، وتخريج شباب وشابات للزج بهم إلى سوق العمل؟

هل كان من الأجدر بنا أن نبحث ونحرص على جلب الأمور التي لابد من توفرها في الجامعة؛ من تجهيز معامل عالية المستوى، إلى إنشاء مراكز بحثية متخصصة، أو غير ذلك، حتى تستطيع الجامعات مواصلة رسالتها؟

لماذا ننظر دائمًا إلى الخلف ونقول كنا وكنا، وأننا عندما تمسكنا بقيمنا البالية أنجزنا، ولا ننظر إلى الأمام ونقول كيف تطور العالم الغربي حتى وصل إلى ما وصل إليه بعيدٍا عن قيمنا وعاداتنا؟

نعم، نحن بحاجة إلى أن نطور من إمكانات جامعاتنا، ونهتم بتجهيز مراكز دراسات وأبحاث على أعلى مستوى، وأن نجلب كل الوسائل الحديثة في طرق التدريس، لكن قبل ذلك لابد لنا من أن نوفر الجو الصحي للطلاب والطالبات حتى يتمكنوا من الاستفادة من كل تلك الإمكانات التي سنقوم بتوفيرها أن نحرص على أن يستفيدوا منها بطريقة صحيحة بعيدًا عن أي منغصات.

إن الكثير من دول العالم تجلب طرق حديثة في التدريس، ومن أجل ذلك تفرض الكثير من قرارات المنع، مثل منع الطالب من أن يدخل جهاز هاتفه النقال للمحاضرة، أو تشغيله أثناء الدرس، حتى لا ينشغل به عن التركيز، ولأن اختلاط الشباب بالفتيات له من التأثير ماله كان لابد من الفصل بينهما، فهل منعت الجامعات اختلاط الشباب بالفتيات حتى تكون قضيتنا الأولى، أم كانت من أجل التحصيل العلمي وتوفير كل السبل لأجل تحقيق ذلك.

نعم الاختلاط هنا منغص قد يتسبب بإلهاء الطالب أو الطالبة عن التفرغ للتحصيل العلمي، فالشاب ينجذب نحو الفتاة، والعكس كذلك، وهذا مؤثر

حقيقي يجعل الفصل لابد منه هنا، ولذلك كان للدين كلمة عندما حرم الاختلاط، والتحريم هنا ليس من أجل المنع فقط، فله أسبابه الكثيرة والتي من ضمنها ألا ينشغل جنس بآخر على حساب العمل وإعمار الأرض، فالفطرة البشرية جُبلت على ميل كل طرف للآخر، فكيف لو كان ثالثهما الشيطان، والشيطان هنا لم نقم بدعوته، وليس له رقم جامعي، لكنه مصداق لحديث نبينا ﷺ، وليس بعد كلامه رأي.

لا يأتي هنا من يقول بأن الاختلاط موجود منذ سنوات ولم تحدث حالات مريبة أو مقلقة، فهذا كلام إنشائي، والحوادث في هذا الجانب كثيرة ليس، هنا فقط بل وحتى في العالم الغربي.

كم من دكتور استغل طالباته، وكم من طالب تحرش بزميلته، وكم هي الحالات والقضايا الكثيرة المسكوت عنها.

إننا مجتمع نؤمن بالتطور، ونريد أن نسير للأمام كما يقول ناصروا الاختلاط، وتحقيقًا لقولهم سنكمل الطريق الذي سار عليه المجتمع الغربي، ونقف عند النقطة التي هم فيها الآن لنكمل المسير، وننادي معهم، ونطالب بالعودة إلى فصل الجنسين، بعد أن تجرعوا مرارته، وارتفعت لديهم أرقام الاعتداءات، ألم تكونوا ترغبوا بذلك، ونسير على طريق الغرب، ونتوقف عن العودة إلى الوراء؟

حرام ما نسكت

هل فعلًا ما يتم تداوله ونشره عبر وسائل التواصل الاجتماعي يمثل البيئة والواقع الذي يعيشه المجتمع؟

أليس الذين يقومون بنشر المقاطع والفيديوهات، وكتابة المنشورات في تلك الوسائل هم من المنتمين لتلك البيئة وذلك المجتمع؟

إذًا لماذا نشاهد ذلك التراجع الأخلاقي في غالب المحتوى الذي يتم نشره عبر وسائل التواصل، والذي نقول بأنه لا يمثل المجتمع؟

طالما كانت إجابة السؤال الأول بأن من ينشر تلك المحتويات هم من داخل المجتمع، فذلك يعني بأننا كذلك، لكن لنقف قبل أن نقرر ذلك ونسأل أنفسنا: هل نحن فعلًا كذلك؟

لماذا يختلف واقعنا عن الذي نشاهده من مقاطع فيديو، وصور، وكتابات عبر وسائل التواصل، والتي لا تعبر عن مجتمعنا وبيئتنا رغم أن من يُصدر تلك المقاطع هم منا؟

هل هنالك سر ما؟

قبل أن نتحدث هنا عن هذه المشكلة لابد أولًا أن نعلم بأننا مجتمع مثله مثل أي مجتمع آخر في هذا العالم يوجد فيه الخير والشر، الصحيح والخطأ، لكن لا يمنع ذلك من قولنا بتميزنا مع غيرنا من مجتمعات أخرى إسلامية وشرقية عن العالم، فنحن شعوب لديها ثوابت فرضها التزامها بدينها الحنيف، ثم بعادات وتقاليد مجتمعاتها، ولذلك لو تأملنا في تلك المقاطع لوجدنا أنها تصدرت لأنها حازت على نسبة مشاهدة عالية دون غيرها وهذا يعني أننا من دعمها وأوصلها إلى الصدارة، وبالتالي شجع ذلك الكثير من أولئك الذين يتطلعون لأن تصل محتوياتهم للصدارة إما طلبًا لشهرة، أو رغبة لتحقيق مكاسب مادية، إلى مسايرة المرغوب، وهذه نقطة لابد وأن نقف عندها ونراجع أنفسنا كمجتمع وصل أفراده إلى هذه المرحلة من الاهتمامات، وهذا لا يعني كل شيء، فهنالك أمور أخرى ساهمت في وصولنا إلى هذه المرحلة لا ينبغي كذلك إهمالها.

من الخطأ أن نكتفي بلوم أفراد المجتمع دون أن نبحث الأسباب الحقيقية التي أدت إلى ذلك.

لو تأملنا في العالم من حولنا لوجدنا بأن نفس الأمر يتكرر في أكثر من مجتمع، ولو تأملنا الأسباب الحقيقية التي أوصلت المجتمعات لذلك

والغرض منها لوجدنا بأنها وإن اختلفت الوسائل من مجتمع لآخر لكنها تتم لتحقيق نفس الغاية.

إن صناعة حدث ما لتفقير الشعوب اقتصاديًا أو فكريًا، ثم جعلها تبحث عن المال بأي طريقة لتعيش أو تشبع رغباتها، ثم الفرض على تلك الشعوب مشروعات تم الإعداد لها مقابل تلك الأموال أو الرغبات هي خطة ماسونية لتحقيق غاية وهي نزع مبادئ المجتمعات لانسلاخها، ثم السيطرة على الشعوب وتركيعها لتحقيق مكتسبات.

ما يحدث في اليمن ليست مجرد حرب لأجل الحرب، أو لتحصيل منافع اقتصادية أو سياسية، لا.

إنها وسيلة فقط للوصول إلى غاية، والغاية هنا ليست تفقير الشعب، ولا السيطرة على ثروات البلاد الطبيعية ومواردها، أو الهيمنة السياسية، فهذه غاية لأدوات فرعية استخدمتها الماسونية كوسيلة لتحقيق غايتها الكبرى.

إنها غاية ماسونية تتمثل في السيطرة الكاملة على البشرية، والتمكن من قيادة العالم دون منغصات لتحقيق مكتسبات كما ذكرنا.

إن ما نشاهده اليوم من محاولة لاستغلال الظروف التي يعيشها الشعب اليمني نتيجة الحرب من قبل بعض المنظمات لفرض أجندتها، أو من

خلال استغلال بعض الشباب والفتيات لنشر مقاطع لا تمثل الشعب اليمني ولا مبادئه عن طريق وسائل التواصل، يدعونا لأن نقول: حرام ما نسكت، وهي الجملة التي اطلقها شباب وشابات غيورين على المجتمع ضمن حملة شعبية، والتي بالتأكيد ضايقت الكثير في الخارج ممن يهمهم إبعاد اليمنيين عن دينهم ومبادئهم.

لابد أن نترك خلافاتنا جميعًا جانبًا، فمهما وصل بنا الحال لابد وأن نحافظ على المجتمع الذي نعيش فيه، على الأقل من أجل أبنائنا.

تكفيهم قطة

كلنا شاهدنا الشيخ الجزائري عندما كان يصلي بالناس صلاة التراويح؛ لتتسلل قطة إلى محرابه وتقفز عليه بكل هدوء، ليبادلها ذلك الهدوء ويكمل صلاته بكل أريحية، دون أن يضايقها أو يحدث ردة فعل تجبرها على الهروب فزعًا.

أسرت تلك اللقطة العالم بأسره، وتصدرت مواقعه الإخبارية، وبحق هي لقطة العام بلا جائزة تشهد بذلك، فالجوائز العالمية في بعض الأحيان تدار من خلف كواليس لجان قيل أنها تحكيمية.

الجميل فيما حدث ليس ردة الفعل الرحيمة من ذلك الشيخ، فهي ردة فعل لن نستغربها كمسلمين، فنحن أمة تعلم جيدًا بأن الإحسان للحيوان جزء من واجب فرضه ديننا، حتى لو كنا نؤدي عبادة هي مصيرية بين دخولنا الجنة أو النار، ولسنا مجتمع آخر سيستغربها بالتأكيد من رجال دينه الذين سيكونون في مثل هذا الموقف في دور عباداتهم منشغلين بالبحث عن حيلة لإقناع الناس بصحة معتقداتهم، ولا وقت لديهم لقطة

عابرة يرونها في هذا المكان من وجهة نظرهم كائنًا شريرًا تجرأ على طقوسهم الروحية.

إن الجميل هنا هي تلك القطة الضعيفة التي استطاعت وفي هذا الوقت بالذات؛ والذي يتعرض فيه الإسلام لهجمات شرسة من جهات مختلفة ليس في العالم فحسب؛ بل حتى من منابر إعلامية في الداخل استغلت شهر رمضان المبارك لتصور رموز الإسلام على شاشات التلفاز بأنهم أشداء متحجرين لا يعرفون الرحمة ولا يفهمون الدين، لتأتي تلك القطة بلا موعد لتهدم كل تصوراتهم ومخططاتهم، وتثبت عمليًا لا نظريًا بأن كل تلك الحملات التي تريد أن تشوه الإسلام ورموزه بأنها واهنة وضعيفة، لدرجة أن تلك القطة كفتنا شرهم، وقامت بواجب الرد على افتراءاتهم، ومضت في حالها، وكأنها تقول بأننا أكبر من أن نرد عليهم.. تكفيهم قطة.

ماذا لو كنتَ صاحب المُعَلَقة الإحدى عشر؟

ماذا لو قال شاعر أنه بصدد كتابة المُعَلَقة الإحدى عشرة ليخلدها له التاريخ بجانب أخواتها العشرة؟

بالتأكيد يوجد في العصر الحديث من يملك من القدرة الشعرية ما يعينه لكتابة ملحمة شعرية ساحرة، لكن هل من الممكن أن تصبح تلك الملحمة الشعرية المُعَلَقة الإحدى عشرة، وتنظم لشقيقاتها العشر؟

من باب الأمنية كلنا نتمنى أن نكون صاحب المعلقة الإحدى عشرة، فالانضمام لشعراء المُعَلَقات هو أقصر الطرق للخلود الشعري، فليست هنالك قصائد خلدها التاريخ بحجم تلك المُعَلَقات.

أما من باب السعي لتحقيق ذلك فالأمر يصعب هنا، والصعوبة ليست في القدرة الشعرية لكتابة مثل تلك المُعَلَقات، فليس هنالك كلام يصعب الإتيان بمثله سوى كلام الله عز وجل، ثم أحاديث المصطفى ﷺ، لكن

السبب يعود إلى أن الواقع الآن لا يملك الأدوات التي تعين الشعراء لتحقيق ذلك، هذا لو كان لدى الشعراء مثل تلك الروائع الشعرية.

لن تكون صاحب المُعَلَّقة الإحدى عشرة بمجرد أن تكتب معجزة شعرية تظن بأنها ستحمل الرقم أحد عشر في قائمة المُعَلَّقات، فلن تُكتب قصيدتك بماء الذهب، فضلًا من أن تعلق عند أستار الكعبة، ولن تعلق قصيدتك في أذهان العرب لو قلنا بأن ذلك سببًا آخرًا لتسميتها بالمُعَلَّقات، فالعرب الآن ليسوا أفصح من عرب الجاهلية، ولا صدر الإسلام لتكون أذهانهم مقياسًا لخلود أروع ما كتب الشعراء المعاصرون، كما كان حال من سبقهم في تلك العصور مع تلك المُعَلَّقات، بالإضافة إلى أن كلمات الأغاني الهابطة، والقصائد الغير موزونة لفظًا وذوقًا، والخفيفة نطقًا، أصبحت هي متصدرة للساحة، والأكثر طلبًا في المجتمع العربي، فترجمت ما بداخل أذهان الكثيرين منا واهتماماتنا إلا من رحم الله.

إنه ورغم القدرات الهائلة إعلاميًا، والمسابقات الشعرية الكبيرة المنتشرة في القنوات، إلا أننا مازلنا نعاني من قصور في جانب التقييم، وضعف في ذائقة المتلقي، وما نشاهده من بعض لجان تحكيم المسابقات الشعرية ممن يقال أنهم أهل اختصاص لهو خير دليل على ضعفنا في هذا

الجانب، وخاصة لو قسناه بالعصور السابقة، مع إيماننا بأن أعضاء تلك اللجان ليسوا الصفوة، لكنهم على كل حال محسوبون على الطبقة العليا.

طالما أنني لم أوفق في عنونة عمود مقالي بسؤال صحت قراءته نظريًا ولم يصح تحقيقه عمليًا، لعدم توفر الأدوات اللازمة لذلك، وهي مجرد معلقة تُلهب مشاعر الناس، ولا تترتب عليها أحكام تقرر مصيرهم، فمن باب أولى ألا أفكر مستقبلًا لأن أعنون مقالًا صحفياً استفهم فيه عن إمكانية استحداث أمر فارق في حياة الناس لا تتوفر الأدوات في هذا العصر حتى لقراءته نظريًا فضلًا عن إمكانية تحقيقه عمليًا، فلا المقياس ما في أذهان الناس، وليست أستار الكعبة هي ما نريد لنرى مدى إمكانية تحقيق ذلك، فرب الكعبة هو فقط من يجعل القبول لذلك الأمر وقت ما يريد، لا الجهد البشري وإن توفر، ولذلك من غير المنطقي لي ككاتب صحفي أن أعنون أحد مقالاتي يومًا بقولي: ماذا لو قال أحدهم أنه بصدد كتابة مذهبًا فقهيًا خامسًا؟

أريد وطني هكذا

دُعيت للكتابة حول هذا الموضوع في مجلة كبيرة في وطننا العربي، مع مجموعة من كبار الكتاب العرب، ليبدوا آراءهم، ووجهات نظرهم، ثم تُقدم لصناع القرار في وطننا العربي ليكون مرجعًا لهم، وإن كنت متأكدًا بأن صناع القرار في العالم العربي لا تهمهم هكذا موضوعات.

بالتأكيد أن لكل منا وطن ينتمي إليه، يعيش فوق أرضه أو في مكان ما من هذا العالم، وكل منا يتطلع أن يكون وطنه بأفضل حال، ولنا جميعًا أمنيات نتمنى أن تتحقق في أوطاننا، ولذلك كان هذا الموضوع بالغ الأهمية للكثير من الكتاب ليكتبوا حوله.

الكاتب لابد أن يكون صوتًا لأمته، وغير ذلك تبقى الكتابة لديه هواية يبحث من خلالها قضاء وقتًا ممتعًا ليجدد نشاطه من هموم الحياة، وهنالك فرق بين من يكتب ليدخل في هموم الناس، وبين من يكتب ليهرب من هموم العالم.

نعود للوطن وللأمنيات وللكتابة حول ذلك.

للأسف أصبحنا في عالم يقدر قيمة الشخص بحسب الموقع السياسي للبلد التي ينتمي إليه، ومهما كانت لدى ذلك الشخص من ثروات فإن ذلك الوطن وموقعه السياسي يزيد من قيمتها أو ينقص، ولنا عبرة في الكثير ممن تم الحجر على ممتلكاتهم في أبسط القضايا فقط لأنهم ينتمون لوطن مستضعف لم يستطع قرشهم الأبيض بضخامته أن يكون لهم في اليوم الأسود، ولذلك تجد الكثير حتى من أصحاب الأموال ممن قد ظنوا أنها خط الدفاع الأول لهم لمواجهة الحياة في عالم رأسمالي يبحثون عن بلد لينتموا إليها بعيدًا عن وطنهم، لينعموا بتلك الحياة قبل الأموال.

سقطت الإمبراطوريات عبر التاريخ وكنا ننتمي لأمة مسلمة كانت لديها من القوة ما يجعلها تنفي كل تلك الأسطر السابقة.

أحببت أن أكتب هذه المقدمة لعنوان كان من المفترض أن يجعلني أطلق رومانسيتي للحديث عن حلمي بوطن جميل تحفه الأشجار، والورود الحمراء، والصفراء، والبيضاء، والمباني الشاهقة، والأرض المنبسطة، والكل فرح ومسرور، لنقضي فيه أجمل الأوقات، والليالي الملاح.

لا، ليس الحلم كذلك، بل أريد فقط وطنًا قويًا باكتفائه الذاتي، وصناعاته، وقواته، ليستطيع أن يقول لا لأي أجندة خارجية ويقرر مصيره بنفسه.

لا، ليس الحلم كذلك، بل أريد وطنًا قويًا بقوانينه لا بنظامه، يستطيع أن يُبطل أي عمل داخلي تخريبي لا مسؤول مهما كان، حتى لا يأتي أحد

للسيطرة على ثرواته، ولتتحقق لنا عدالة اجتماعية نستطيع بتلك العدالة أن ننطلق لنتميز.

باختصار، في الوطن القوي سنرى الأشجار، والورود بألوانها بين الطرقات والمباني الرائعة، بعين ترى تلك الأشجار فيسر صاحبها، لا أن يراها فيبحث عن ظلها ليبكي تحتها.

في الوطن القوي سنجلس أمام البحر لنفكر بأحلام الغد، لا أن نبكي أمامه لأننا لم نستطع شراء علبة حليب لرضيع يبكي في المنزل جوعًا.

باختصار، في الوطن القوي سنرى الجمال، وسنقضي أوقاتنا في أفراح وليالي ملاح.

اليمن وطريق العودة

لست قلقًا على بلدي، فهي تستطيع العودة متى ما قرر الشعب ذلك، فكل الصعاب التي تواجه اليمن الآن، وبرغم أنها سببت أسوء كارثة إنسانية في تاريخ اليمن القديم والحديث، إلا أنها أهون من كثير أزمات واجهت اليمن سابقًا، وعلى مر تاريخها، وهي على كل حال لن تكون أسوء من أزمة انهيار سد مأرب، ذلك الانهيار الذي قضى على كثير من مقومات الحياة للإنسان حول السد، والذي تسبب في هجرة الكثير من اليمنيين، لا لأن يصبحوا لاجئين، لكن لأن يكونوا سببًا لقيام حضارات جديدة في مناطق أخرى من العالم، والتي كانت فقط بحاجة لانهيار السد ليأتيها اليمني ويقيم عليها تلك الحضارات بمعاونة أبنائها، فهو ابن الحضارة الأولى في التاريخ، فهاجر الكثير وبقي غيرهم ليعيدوا الحياة للمكان الذي أزال فيه الانهيار معالم الحياة، فالظروف أبدًا ليست هي من يقرر لليمنيين بعد إرادة الله عز وجل.

إن الإنسان اليمني الذي ارتبط وجوده بوجود الإنسان الأول على هذه الأرض بحسب الكثير من الدراسات التاريخية لا يُخشى عليه، فكل

الأزمات الإنسانية التي حدثت عبر التاريخ استطاع الصمود أمامها، والتغلب عليها، ولذلك ليس جديدًا كل ما يمكن أن يحدث في العصر الحديث من أزمات أو مؤامرات تحاك ضده وضد أرضه، وبالتالي فاليمن أكبر من كل ذلك بوجود الإنسان اليمني بعد رعاية الله، وهذا بالضبط ما فطن له الأعداء، فبذلوا كل الوسائل للقضاء على كل صحوة شعبية في العصر الحديث أرادها الإنسان اليمني ليعيد بناء بلده من جديد، فحاولوا القضاء على ثورات إزالة الظلم التي أرادت أن تسير بالبلاد إلى الطريق الصحيح منذ القرن الماضي، وحتى مطلع القرن الحادي والعشرين.

إن الإنسان اليمني وبرغم كل هذه الأزمات المحيطة، وظروف الحرب، وفي ظل غياب مؤسسات الدولة استطاع على الأقل أن يتأقلم ويعيش داخل وطنه، وأن يحقق الكثير والكثير من الإنجازات في المحافل الدولية خارج الوطن، فكم من أطباء ذاع صيتهم، وكم من مخترعين ضجت الصحف بأخبارهم، وكم من مغتربين بنوا اقتصادات دول، ودخلوا مؤسساتها وبرلماناتها، بل وأصبحوا رؤساء حكومات، وكم من رياضيين كرمتهم منصات العالم.

إن الإنسان هو الوقود الحقيقي لأي بلد، وهو من يستطيع تحديد مصيرها، ورسم خارطة عودتها من جديد، فقط لو استطاع أن يقول

..لا.. لكل الظروف المحيطة، فكيف لو كان ذلك الإنسان هو اليمني الذي عاش حياة الإنسان منذ بدايتها على هذه الأرض، وتكيف مع كل أحوالها، وألمَّ بتفاصيل أزماتها، وكيف سيكون صدى ..لا.. عندما يهتف بها؟

ليعلم اليمني أنه هو بعد توفيق ربه من يستطيع تغيير الواقع متى ما أراد ذلك، واستيقظ من سباته، وترك مجالس المقيل التي يبني فيها قصور أحلامه، وخرج لميادين تحقيقها، ولا ننسى قول الله عز وجل: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾** سورة الرعد آية11.

إن كل قوة في العالم تستطيع أن تغيب الإنسان لفترة، وتقيده، وتوهمه بذلك، لكنها لا تستطيع أن توقف عودته متى ما استيقظ من سباته، أو قرر ذلك، ومتى ما فهم بأن السلمية لن تصنع ثورة، ولن تعيد ما تم أخذه بالقوة، ومتى ما فهم بأن حلول الخروج من الأزمات لن يأتي بها أعداؤه، وأن طاولات مفاوضاتهم ليست إلا لاقتسام الكعكة، وأنه فقط من يملك خارطة الطريق لبناء وطن حر، خاصة لو كان ابن حضارة مرت بكل الكوارث التي عاشتها الأرض منذ وجود الإنسان واستمرت شامخة إلى الآن.

موسم الصيد

في الأزمات تتغير النظريات، لكنها بالتأكيد لن تحوم حول الحمى، فالمبادئ هي العمود الباقي الذي لو سقط لتحطم مجتمعًا بأكمله، ومن يحوم حول تلك المبادئ سيُسقطها لا محالة، فكل شيء في ظل الأزمات يصبح خارج السيطرة.

تتغير النظريات لأن كل شيء قابل للبيع والشراء، فالأزمات تجعل من واقعنا سوقًا لنصبح من ساكنيه، والبائع الشاطر فيه هو الذي يستطيع أن يبيع كل شيء دون أن يحرك أعمدة وأركان دكانه، لأنه يعلم بأن دكانه رأس ماله الذي لو سقط فإنه لن يعود، في زمن القابض على أركانه كالقابض على الجمر.

دخلت علينا الحرب من أوسع أبوابها، ففهمنا جميعًا معنى المعاناة، لأننا عشنا تفاصيلها وإن اختلفت ظروفنا.

عشناها مع بعضنا، فبحث بعضنا عن الأخر عندما ازداد بهم الألم دون غيرهم.

عندما قاسوا، خاصة أولئك الذين ليس لهم رصيد من رخائهم ليعينهم في شدتهم.

هي أزمات فوق الأزمات، لكنها الحياة بكل تفاصيلها، تجبرنا لأن نبحث عن ما نداوي به آلامنا، ولأن الأزمات اسكنتنا ذلك السوق فمن الطبيعي أن يكون لكل شيء ثمن، لكن ليس كل شي شرطًا أن يُشترى طالما أن ليس كل شيء يمكن أن يباع.

من المؤلم أن نتعرص للابتزاز في بحثنا عن ما يعيننا، فنُخَير مابين الحياة أو الموت، وما بين خيار الحياة والموت تنازلات قد تجعل من الحياة خيارًا مؤلمًا لا مقصودًا.

للأسف، متى يفهم أولئك الذين يجدون في تلك الأزمات فرصة لشراء ما لا يمكن شراؤه في الرخاء؛ بأن الأزمات لا تعني التنازلات، وأن الحاجة لا تعني الاستسلام.

متى يفهم أولئك الذين يضعون مقابلًا لأمرأة أرهقها المرض، فرأت فيهم الشمس التي تشرق بالأمل، فأرادوها أن تضيء لهم لياليهم؛ متى يفهمون بأن الأزمات ليست موسمًا للتجارة بالأعراض أو المساومة عليها.

ومتي يفهم أولئك الذين يضعون شرطًا فيه بعضًا من ذل أمام أبٍ تمكنت منه الديون، ذهب إليهم ليسد حاجة أطفاله، فيستعينون به على قضاء حوائجهم بالكتمان، بأن الأزمات ليست موسمًا لشراء الذمم.

للأسف كشفت تلك الأزمات عن كثير من الأقنعة التي أدعت المثالية يومًا، وحاضرت عن مبادئها، والتي وجدت اليوم الحروب والمآسي فرصةً لتحقيق مآرب عجزت عن البوح بها أيام الرخاء، فجاءتها على طبق أيام الشدة، فهم ليسوا إلا صيادين انتظروا موسم الطيور المهاجرة، التي هربت من قسوة الشتاء، لتتلذذ بصيدها عندما تمر تحت سمائها، ليكشف لنا الموسم بأنهم ما كانوا ينتظرون إلا ضعفنا لافتراسنا، فماهم بيننا إلا صيادين ينتظرون موسمهم لا أكثر.

النيجر والحدائق الخلفية

نجح بوتين بعض الشيء في إشغال القوى العظمى في أوروبا عن حربه مع أوكرانيا، فالعمليات الانقلابية التي حدثت في النيجر وقبلها في بعض الدول الإفريقية كان لروسيا دور خفي فيها بالتأكيد.

لا أعتقد أن فرنسا وغيرها يستطيعون إنهاء الأمور في القارة الإفريقية كما يريدون، ولن تستطيع أذرعتها في القارة السمراء هذه المرة من أداء مهامها والإمساك بزمام الأمور، فالأمور هذه المرة تختلف عن السابق لعدة اعتبارات أهمها ظهور بوادر ربيع إفريقي ظهرت ملامحه من خلال بعض الانقلابات العسكرية الثورية، والتي بلا شك تختلف عن الانقلابات العسكرية السابقة إفريقيًا، ولا يمكن مقارنتها بتلك التي حدثت في عالمنا العربي، والربيع الإفريقي هنا سينجح بهذه الطريقة الانقلابية لا بثورات شعبية، على الأقل في المرحلة الراهنة، والتي لا تمتلك مقومات التحرك شعبيًا، وإن كانت الأسباب قائمة، لكن هذه الانقلابات بلا شك بحاجة لغطاء شعبي، والذي سيتحقق فقط لو صاحبه دعاية

إعلامية لإيقاظ الشعوب، وبيان مدى الجرائم الفرنسية والغربية بحقها، ومقدار سرقات خيراتها، وأن الوقت قد حان لتقرر تلك الشعوب مصيرها وتنهض من جديد.

اعتبار آخر يتمثل في وجود طرف قوي يدعم الأفارقة هنا للقضاء على الوجود الاستعماري، وتحقيق الاستقلال، مقابل مصالح متحققة بعيدًا عن لعب الدور الفرنسي السابق، بل من خلال شراكة بين تلك القوى والحكومات الإفريقية.

رأت روسيا أنها خير من تلعب هذا الدور وتعين الأفارقة لتحقيق ذلك، فروسيا لها مصالح استراتيجية تتمثل في بسط نفوذها العالمي، واستعادة مكانتها، بالإضافة لحرصها على إضعاف عدوها الغربي في حربها على أوكرانيا من خلال القضاء على موارده، وكذلك فتح مجالات للانتعاش الاقتصادي الذي يحاول الغرب أن يحاصر روسيا من خلاله.

كل ما ذكرناه أعلاه يعتبر فرصة للأفارقة قد لا تتكرر على المدى القريب في استعادة كرامة شعوبها، وإدارة ثرواتها، والنهوض بقارتها التي كانت على مر السنين مزرعة يحصد ثمارها الغرب، وكانوا هم فيها المزارعون دون حتى أجر يومي، وإذا أرادوا أن يتناولوا من ثمار تلك الحديقة كان لابد عليهم من الهجرة، وقطع المسافات، وتجاوز

البحار فقط ليدخلوا أوروبا ويأكلوا من خيراتهم التي قطفوها في بلادهم دون أن يكون لهم الحق في تناولها.

إن إفريقيا غنية بثرواتها، ومواردها، وطاقة أبنائها، وبغض النظر عن مصالح روسيا فيمكنهم التعاون كخطوة أولى معهم لنيل حريتهم، والقضاء على الغطرسة الغربية، والتي لن تتحقق إلا لو رفضت تلك الشعوب من أن تبقى الحديقة الخلفية للغرب، ولن يتم ذلك إلا بالتخلص من حراس الحديقة أو بمعنى أكثر وضوحًا التخلص من عملاء الغرب ولو بانقلاب يحي الشعوب، وليس كتلك التي تبيدها.

زامر الحي لن يطرب

يقولون بأن زامر الحي لا يطرب ولو كان يحمل مزمارًا من مزامير داود.

مشكلة يعاني منها كل مطرب في حيه، والمطرب هنا ليس بالضرورة أن يكون فنانًا، بل قد يكون مهندسًا، أو نجارًا، أو حتى طبيبًا عالج حاكم المدينة من داء جَهِل العالم دواءه.

مِن الغريب أن لا يطرب ذلك الزامر أهل منطقته، رغم أن الكثير من المناطق الأخرى تشهد له بالإبداع والكفاءة، حتى ظننا بأن العوامل الجغرافية لها دور في بروز كفاءة ذلك الزامر.

لم لا يطربنا ذلك الزامر ونحن الأكثر معرفةً به؟

هل لأنه منا ونعرف تفاصيله؟ أم لأننا تعودنا عليه وتشبعنا منه؟

لماذا الغريب هو من نبحث عنه ونمجده ولو كان مغمورًا؟

هل حقًا بأننا نجيد انتقاد كل من يبدع من أبناء جلدتنا دون غيره؟

لم نطبق قاعدة كلما كان صاحب المهرة غريبًا عنا؛ كلما زدنا به طربًا وكأنها معادلة فيزيائية نسي نيوتن تدوينها في كتبه فتذكرناها، وحفظنا حقوقها كماركة مسجلة لأهل البلد بحق ابن جلدتهم، لتذكره دائماً بأن الاغتراب هو الحل الوحيد لكي يلتف حوله الجميع تصفيقًا.

نعم هي ماركة قمنا بتسجيلها لأننا مجتمع لا يقبل أن يتميز أبناء جلدتنا، لأننا نرى ذلك تميزهم دوننا، فتميزهم هنا يعني بأننا لم نستطع أن نكون مثلهم ونحن نملك نفس الفرص لأن نكون كذلك، وذلك يعني أن نسأل أنفسنا تحت تأنيب الضمير: ماذا كان ينقصنا لنحقق ما حققوا؟

لا بأس بأن نبرر كل نجاح لأبناء جلدتنا بأنه ضربة حظ أو واسطة لنبرر بها تقصيرنا لنصبح مثلهم.

لا بأس بأن نقول لا توجد لدينا ثقافة، ولا طب أو هندسة طالما أن ذلك سيقلل من كفاءتهم، فهم جزء من مجتمعنا على كل حال.

لا بأس بأن نبحث عن أدق تفاصيلهم لننقدهم، ولو كانت تلك التفاصيل بعيدة عن صلب ما يعملون، فالمهم هنا أن ننقص من إنجازاتهم.

لا بأس بأن نقلل من قراءتهم لواقع مجتمعنا لنقلل من سهام نقدهم، ونُفَند تفاصيل مشكلاتنا التي وصفوها لنا.

ولا بأس ونحن بحاجة لزامر يطربنا بأن نستعين به ونطلبه من مكان آخر لنستطيع الرقص طربًا دون حياء، فالزامر في نهاية الحفلة سيذهب ويفتخر به آخرون ليسوا بيننا بالتأكيد، ليشعروننا بتميز زامرهم عنا.

لا بأس بكل ذلك طالما أن ذلك سيعيننا على إيجاد التبرير المناسب في الزمن الغير مناسب.

باب ما جاء في ردة الفعل

في كل عيد أضحى بالذات يحاول الكثير من أعداء الفطرة استفزاز مشاعر المسلمين حول العالم، وما يقوم به النظام في السويد من السماح بمحاولة امتهان القرآن الكريم يدل على حقارتهم، وفشل مشاريعهم المدعومة ماسونيًا في النيل من الثوابت الفطرية، وأن الإسلام يعتبر الحاجز الأكبر أمام تلك المشاريع التدميرية بحق الإنسانية.

إن السويد دولة تنفيذية لمشاريع ماسونية ولن تكون أكثر من ذلك، حالها حال الكثير من الأنظمة حول العالم، وأن كل خططهم سينفقون عليها من أموالهم، وستكون عليهم حسرة، وسَيُغلبون، فقط لأن الإسلام دين يوافق الفطرة ومراد الله، وهم يعلمون ذلك جيدًا.

قرأت لأحد الأشخاص تغريدة عابرة يقول فيها: (لماذا الإسلام بالذات تُهان كتبه، ونجد المؤامرات تحاك ضده؟ السبب في ذلك يعود إلى أن الإسلام دين عدائي يستفز من يخالفه) انتهى كلامه.

للأسف أن صاحب المقولة محسوب على الإسلام، وهو هنا لا يختلف عن أولئك الذين يحاولون النيل من الإسلام ومحاربته بطريقة مباشرة، فهو ما كتب تلك الكلمات إلا محاولة منه في دعم وتأييد من حاول التنكيل بالإسلام والاستهزاء به، فهو يتهم الإسلام هنا بأنه دين عدائي واستفزازي ويستحق كل حدث يتعرض له، لأن ذلك ردة فعل طبيعية، ولا يعلم بأن الإسلام دين يتعارض مع المخطط الماسوني الخبيث لتدمير القيم الإنسانية وليس الإسلام فحسب، وأن الماسونية جندت لذلك الكثيرين في محاولة منها للنيل من الإسلام عدو مشاريعها الأول، وأنه ككاتب لتلك المقولة يساهم معها بقصد أو بدون قصد، لأنه تم تجنيده لمخططهم بأفكار زرعوها في عقله تدريجيًا عبر سنوات.

إن القضية ليست في كونها حرية تعبير، أو أن شخصًا أراد الاستنقاص من الإسلام ومقدساته نتيجة كبت تعرض له كما يقول ويظن في يوم ما في بلاده، فقام بحرق القرآن، بل هي خطوات من مخطط عقدي وماسوني يتم تنفيذه بدقة.

بين كل ما يحدث لا أتفهم كيف يرى البعض من المحسوبين على الثقافة والمعرفة والعلم الشرعي بأن أفضل ما نواجه به الأعداء في مثل هذه المواقف هي إحياء القرآن في نفوسنا وقراءته وترديده؟

كيف يفكر بعض المثقفين وأصحاب المعرفة والعلم الشرعي هنا ومع كل حرب يشنها الأعداء على الإسلام، ويرون مشاعر الغضب بادية على المسلمين حول العالم، ليأتوا بعد ذلك ويحدثوننا عن أهمية الهدوء وتهذيب النفوس إذا أردنا أن نغيض الأعداء، دون تقدير لتلك المشاعر وأهمية إحيائها لإحياء الغيرة على الدين في النفوس ومن ثم حمايته؟

نعم نحن بحاجة لتهذيب النفوس في كل وقت لكننا بحاجة قبل ذلك وقبل أي شيء آخر إلى تهذيب كل من يتطاول على مقدساتنا وثوابتنا حتى يكف أذاه عنا، فالقوة لا تجابه إلا بقوة تردعها، والكيان الضعيف لا يستظل به عابر سبيل في رحلة بحثه عن الحق.

باختصار نحن بحاجة إلى طرد كل العملاء قبل أن نطرد سفراء الدول التي تحاول استفزازنا إذا أردنا حقًا تأديب الأعداء وبيان عظمة ديننا، وهذه مقدمة تنفع على الأقل لتعليم كل من يدعوا المسلمين إلى ضبط النفس في باب ما جاء في ردة الفعل.

أضحى مبارك

دخل علينا عيد الأضحى المبارك، وجاءت أيامه؛ والتي يستعد فيها كل منا لذبح أضحيته كعبادة نؤديها كمسلمين، وتُميز هذا العيد عن غيره من أيام العام.

لمن استطاع إليه سبيلًا، كنا نقصد من هذه العبارة حج بيت الله الحرام بسبب بعد المسافات، وبعض الأمور الأخرى، لكن لم نتوقع أن نربطها كذلك بذبح أضحية؛ في عالم إسلامي أصبحت شعوبه تبحث عن قوت يومها، بدلًا عن أمجاد تضيفها لرصيدها العتيق.

والأمجاد فقدناها يوم أن بعدنا عن ديننا، وفقدنا كرامتنا التي ذبحوها لنا، وذبحونا معها، ولا مجال لأن نقدمها قربانًا لذبحها هذا العيد، فالكرامة لا تتوالد كخراف العيد، بل تستعاد.

لست هنا بصدد تعكير فرحه العيد، فالفرح عبادة أمرنا الله بإظهارها في كل عيد شكرًا له، وإظهارًا لنعمه، فنعم الله كثيرة، لدرجة أن من أراد أن يحرمنا من تلك السعادة يعجز عن إحصاء أسبابها في مخططاته للقضاء عليها.

عيدكم أضحى، نقولها هذا العام وكلنا أمل بأن ننعم بأيام أجمل نستعيد فيها كرامتنا، ونستشعرها واقعًا نعيشه، لا أن تكون حلمًا لمن استطاع إليها سبيلًا كما هو الحال الآن تمامًا كحج بيت الله، وأضحية العيد.

حتى نعود من جديد

تمر ثقافتنا العربية بالكثير من التحديات التي حالت دون تقديمها بشكل مميز للعالم، رغم ما تمتلكه من تراث ضخم لا يستهان به، من قيم، وعادات عتيقة، ورغم مساهمتها قبل قرون مضت بعد أسلمتها في صناعة حضارة عالمية نعيشها إلى الآن، ولذلك فإن المثقف العربي يعاني كثيرًا، ويواجه تحديات يتوقف أمامها، ولا يجد من يمد له يد العون للمواصلة ولإيصال رسالته الثقافية، لأن هنالك من يرى في قلمه بندقية، وفي صوته لاءات لا يحب الساسة سماعها.

لا يجد من يمد له يد العون لأن الثقافة لم تعد كتبًا وندوات، بل شاشات ملونة يتسيدها الأكثر قدرة على الإضحاك لا الإقناع.

لا يجد من يمد له يد العون لأن زملاء المهنة أرهقتهم الحياة فلم يعودوا يملكون ثمن رغيف فضلًا عن حبر قلم.

لا يجد من يمد له يد العون لأن المناهج الدراسية لم تعد تقبله وسط صفحاتها التي باتت تتصدرها صور فاقع لونها تضر الناظرين.

إن الثقافة هي حضارة قومها، تصنع مصيرها وتوجهه، ولذلك يجد أهل الثقافة كل هذه الحروب حتى لا يُرسم للأمة طريق تعود من خلاله.

إنهم يريدون للأمة أن تسير في طريق يصنعه التافهون من أبنائها لتبقى في غيها، كي لا تستعيد أمجادها، والضمير هنا يعود لأولئك الذين اشتروا ضمائر من داخل الأمة، فجندوهم وسيدوهم ليمرروا مشاريعهم.

لنفهم جيدًا كما أن للفلسطينيين حق العودة لأرضهم فللمثقف العربي حق العودة إلى صفحات المناهج، وإلى الصحف، والمجلات، والندوات، ليكون صوتًا للأمة، وقلمًا لأجيال تريد أن تكمل الرسالة لا الحفلة.

لابد من عودة تستعيد بها لغتنا العربية مكانتها، ويعود مثقفوها لممارسة دورهم الثقافي بأريحية، وكما كانوا من قبل، ولن يستعيد المثقف دوره مالم تستعيد المؤسسات الثقافية مكانتها، والمكانة هنا لن تسترد إلا إذا كانت وفق قيم ومبادئ ثابتة مستمدة من ديننا الحنيف، تتحرك من خلالها المؤسسات الثقافية لتتحرك أمتنا وتواصل سيرها لتعود من جديد.

بين المعقول واللامعقول

كل الأفكار التي تدور في خاطرنا يمكننا ترجمتها على أرض الواقع طالما توفرت شروط المنطقية، وتوفرت الرغبة لتحقيق ذلك، بمعني أننا نستطيع أن نقول بأن كل شيء معقول ويمكن تحقيقه طالما أردنا ذلك، وطالما كان ذلك منطقيًا، والمنطقية هنا كل ما يمكن أن يصبح واقعًا ولو بنسبة بسيطة، والممكن هنا لا حصر له، فالأرض مليئة بالمعطيات التي من خلالها نستطيع ترجمة كل الأحلام لواقع نعيشه، وكل البشر يملكون نفس الفرصة لتحقيق ذلك، لكن بشرط توفير البيئة، وتحقيق عدالة اجتماعية من قبل السلطة.

ما يهون عليَّ وأنا أكتب هذا المقال هو أني سأرسله لمجلة لندنية قراؤها مابين مهاجر، أو مقيم، يستطيعون قراءة كلماته السابقة، وتلمس سطوره داخل المجتمع الذي يعيشون فيه (وإن كانت الأنظمة الغربية ليست بتلك المثالية على كل حال)، بعكس الذي يقيم في بلد عربي، والذي سيحكم على المقال بأنه من خيال الكاتب الذي انطلق بفكره إلى عالم اللامعقول،

والذي لا يمكن ترجمة خيالاته إلى واقع، فالمعطيات محدودة في عالم عربي لا يستطيع أبناؤه التمتع ببقايا تلك المعطيات المحدودة، فأغلبها ملك للسلطة، والأرض التي يعيشون عليها لا يحق لهم فيها إلا عشق ترابها، والتي لا تتخلها جداول ليرتوا منها، بل عليهم أن يسقوها بدمائهم لتنبت خيرات محرمة عليهم، لكنها بالتأكيد حلال على كبرائهم، فلا يجوز لكبرائهم تحريم ما أحل الله لهم، ليبتغوا رضى شعوبهم، والله غفور رحيم.

المعقول واللامعقول ليست مجرد كلمتين يفصل بينهما حرف الواو، بل تفصلهما مسافات قد تكون بحجم بحر مثل البحر الأبيض المتوسط، ولا نقول البحر الأحمر فكلتا ضفتيه عربية.

بين المعقول واللامعقول قد تتحقق أحلام هي عند آخرين مستحيلة بحسب ما تم إفهامهم، وليس بعدد محاولاتهم ليتأكدوا من استحالتها، فالمحاولات جريمة يحاسب عليها اللا قانون.

بين المعقول واللامعقول قد يُقبل مقالي في صحيفة خارج الحدود العربية، لكن بالتاكيد من غير المعقول أن تقبل به صحيفة عربية رأت عدم التزامه بضوابط النشر، أو أنه قد يعكر ذوق السلطة.

حذاء الطالبة وأمير سندريلا

صورة مؤلمة لحذاء مهترئ لطالبة يمنية في إحدى مدارس تعز؛ يختصر الكثير من المعاناة التي يعانيها اليمنيون في بلادهم، ولن نقول هنا خاصة الأطفال، فالكل سواسية في عدالة اجتماعية أفتقدتها أمة عربية في رخائها فحضرت في مآسيها.

حذاء لم يستطع أهلها تغييره لها، ورغم ذلك تكفل بحمايته لبعض أجزاء قدمها، في بلد امتلك عدة حكومات فشلت جميعها في توفير أدنى حماية لشعبها من آثار الحرب فضلًا عن توفير الغذاء.

مؤلم أن تستمر الطفلة بلبس ذلك الحذاء، والأكثر إيلامًا أن نجد من يغبطها على وجود ذلك الحذاء معها، فهم على الأقل يرون أن من حسن حظها أنها وجدت ما تحمي به بعض قدميها فذلك يعطي عمرًا افتراضيًا أكبر لقدرتها على المقاومة، فالأجزاء التي يغطيها الحذاء ستساعد القدم على الصمود أكثر قبل أن تعجز عن المشي حافية القدمين.

لا أظن أن قصة حذاء سندريلا والأمير من المناسب ذكرها هنا وربطها بحذاء الطالبة، لذلك من الأفضل تجاوزها، فلن يستطيع أمير سندريلا مطابقة مقاس الحذاء على جميع الطالبات ليعرف لمن هو يكون، فالفتيات في بلادنا لم يغيرن أحذيتهن منذ بداية الحرب، فكبرت أقدامهن، ولم تعد مقاسات أحذيتهن تناسب سنهن، رغم أنهن مازلن يلبسن تلك الأحذية الضيقة، بل من المستحيل أصلًا أن يفكر ذلك الأمير بالبحث عن فتاة فقيرة ليعيد إليها حذاءها المفقود فضلًا من أن يتزوجها، فالمسؤولين في بلادنا لا يعترفون بأولئك الفقراء.

المنظمات الثقافية بين مطرقة ضعف الموارد وسندان المصالح

في عالمنا العربي، بل وفي كل دول العالم، الكثير من المنظمات الثقافية والإنسانية المختلفة التي وُجدت لخدمة أبناء المجتمع المدني بكافة أطيافه، ولتُسهل الكثير من الأمور الحياتية لهم، وتغطية النقص الذي لا تؤديه الحكومات بطبيعة الحال.

هذه المنظمات الثقافية والإنسانية لابد من جهة تقوم بإنشائها وإدارتها، ولذلك اهتمت الحكومات، والمنظمات العالمية، وبعض القطاعات الخاصة، بإنشاء بعض هذه المنظمات الثقافية والإنسانية، وهذه المنظمات بالتأكيد كانت تجد كل الدعم المادي، والمعنوي، ولم تكن لديها صعوبات في إقامة الكثير من البرامج والفعاليات، فخلفها يقف من أنشأها لخدمة المجتمع، وتحقيق أهدافه الخاصة بالتأكيد، وهذا ليس هو موضوعنا في هذا المقال، بل عن تلك المؤسسات التي تنشأ على جهود أفراد المجتمع المدني، وهذه المنظمات سواءً الثقافية أو الإنسانية؛ وحتى

تقوم بالكثير من البرامج والفعاليات التي تخدم أفراد المجتمع هي بحاجة إلى دعم مادي، وإلى كوادر يقومون على صياغة أنظمتها وسياساتها، وتنفيذ تلك البرامج والفعاليات، وحتى يتحقق ذلك لابد من مدرسة إدارية تستطيع التغلب على كل تلك الصعوبات المحيطة، والمتعلقة بالأعمال التطوعية بشكل خاص.

نعم، فإدارة المؤسسات والمنظمات التطوعية يختلف بدرجة كبيرة عن الكثير من الكيانات الأخرى، سواءً الربحية أو غير الربحية، بسبب قلة أو إنعدام الدعم المادي، وقلة الكوادر التي قد تقبل العمل بشكل تطوعي، أو بمكافأة بسيطة لا تساوي حجم العمل المقدم، بالإضافة إلى تهديدات في الأهداف والمبادئ التي تتبناها المنظمة، والتي قد تضطر لتقديم تنازلات عنها، مقابل بعض الامتيازات.

من الممكن أن نقول بأن من أسباب قلة الدعم المادي للمؤسسات التطوعية قد يعود للظروف الاقتصادية التي أصابت العالم، خاصة بعد جائحة كورونا، وكذلك إلى عدم قبول بعض المؤسسات التطوعية لبعض طلبات الداعميين، لأنها قد تخالف توجهات المنظمة، والداعم لا يقدم إلا بمقابل، والمنظمات صاحبة الأهداف الواضحة لا تقبل بمقابل يخالف توجهاتها ومصداقية برامجها في أغلب الأحيان.

كذلك أصبح الكثير من الداعمين لا ترضيه النتائج المعنوية في زمن مادي، خاصة مع توجه الناس وانشغالهم بتوافه الأمور، ولم يعد للجانب الثقافي ذلك الاهتمام.

ليس الجانب المادي كما ذكرنا وحده هو المشكلة التي تواجه المنظمات، فكذلك الكوادر البشرية والتي أرى بأنها أكثر أهمية من الجانب المادي.

إن نجاح أي مؤسسة تطوعية يعتمد على نجاحها في إدارة كوادرها البشرية، فبكوادرها البشرية تستطيع التغلب على أكبر المشكلات التي تواجه المنظمة، وعلى رأسها ضعف الموارد المالية، فقط لو علمت بأن الإنسان هو محور نجاح أي عمل في الوجود.

حاولت أثناء رئاستي لإحدى المنظمات الثقافية أن أطبق بعض النظريات في العمل التطوعي، ولمست نتائج ممتازة، وعندها كانت تأتيني أسئلة فيها نوع من الاستغراب من بعض زملائي رؤساء بعض المنظمات الثقافية الأخرى، تستفسر عن كيفية قدرة منظمتنا الثقافية على تجاوز الكثير من الصعوبات، وإقامة الكثير من البرامج، والفعاليات، والمؤتمرات، والاتفاقيات مع أكبر الجامعات، وفي إيجاد أطقم من الكوادر البشرية العاملة التي استطاعت الانسجام مع الأوضاع، وكانت لها بصماتها في أقسام المنظمة المختلفة، بل ونجاح منظمتنا في إقامة

وافتتاح عدة مراكز تابعة لها بنفس قوة أقسام المنظمة الداخلية، رغم أننا لا نملك من الإمكانات المادية أي شيء.

لقد نجحنا في ذلك لأننا قدرنا الإنسان قبل أي شيء آخر، واستخدمنا نظريات عملية خاصة بنا في إدارة الأعمال التطوعية، وكمثال على ذلك نظرية (فاصلة خمسة)، والتي فيها من المرونة ما يشعر الزملاء العاملين بمتعة العمل التطوعي دون أن يؤثر ذلك على التزاماتهم الأخرى العملية، والأسرية، وغيرها من النظريات التي سنفرد لها مساحة للحديث عنها بالتفصيل في كتاب خاص بإذن الله.

لابد لنا أن نؤمن ونحن ندير العمل التطوعي بأن العاملين في المجال التطوعي لديهم من الظروف الإنسانية ما تجعلهم يبحثون عن فرص مادية أكبر، والمنظمات التطوعية بالتأكيد لا تستطيع الوفاء بالتزاماتهم المادية، وكذلك لديهم التزامات أسرية خاصة، فالوقت هنا مهم بالنسبة لهم مثل المال، وهنا لابد من تقدير ذلك أولًا، وثانيًا، وثالثًا، ولذلك خدمتنا نظرية (فاصلة خمسة) في مواجهة مثل هذه الأمور.

لا يعني ماذكرناه بأن أي منظمة يمكنها أن تستغني عن المال، بالتأكيد لا، بل لابد من جلب موارد مادية، وهذا سيتحقق طالما هنالك إنجازات على الأرض مع مرور الوقت، لكن لا يعني ذلك التوقف عن العمل وخدمة المجتمع طالما نملك الفكر.

لا يأتي كل العاملين إلى المنظمات من أجل البحث عن الكسب المادي فقط، فهنالك من يملك المال، لكنه يبحث عن المكانة الاجتماعية، وهذه من الأمور التي تعاني منها المؤسسات التطوعية، والتي هي مثل السرطان التي ينهش فيها، وهي المصالح.

كثير من المؤسسات التطوعية تُبنى على المصالح بعيدًا عن الهدف الذي وُجدت من أجله، بدءًا من صاحب المنظمة، إلى بعض العاملين فيها، فصاحب المنظمة قد ينشئ منظمته من أجل نيل مكانة اجتماعية، وتوزيع الألقاب والشهادات على النخب، وإقامة الحفلات والمهرجانات، والحصول على امتيازات، وبناء علاقات اجتماعية، ومثل هذه المنظمات تكون محسوبة على المجال بطبيعة الحال.

هذا الأمر قد ينطبق على العاملين في المجال التطوعي، والذين قد يأتون إلى المنظمة من أجل نيل المناصب دون تقديم شيء يذكر، فلا تهمهم المادة بقدر ما تهمهم المكانة الاجتماعية، وكم عطل هؤلاء الكثير من الخدمات التي كان الناس بأمس الحاجة لها.

إن هؤلاء لم يكن لتكون لهم مكانة في المنظمات التطوعية دون دعم من أولئك الذين أنشأوا منظماتهم للظهور الاجتماعي.

إن كثير من منظماتنا الثقافية والإنسانية أصبحت بين مطرقة قلة الموارد، وسندان المصالح، فلم تستطع خدمة المجتمع، ولا مواجهة تحديات كان ينبغي عليها مواجهتها.

إن مثقفي مجتمعاتنا كمثال أصبحوا كالتائهين، لا يجدون من يدعمهم خاصة مع ظروفهم الحياتية التي حالت بينهم وبين دورهم الثقافي بسبب غياب المؤسسات الثقافية التطوعية، ليس عن الساحة، فهي كثيرة ومنتشرة، لكن غيابها عن تأدية دورها الحقيقي بسبب ماذكرناه من أمور، وهنا نشعر بأهمية الفكر الإداري هنا.

من المؤسف أن الكثير يظنون بأن الإدارة عبارة عن أوامر، ومتابعة تنفيذها، وليس هذا الظن في المنظمات التطوعية فحسب، بل في كل مؤسسات المجتمع، ولذلك تضررت الكثير من المؤسسات بسبب ذلك.

كم من منظمة سقطت فقط لأنها ظنت بأن مقود قيادتها مهره صوت عالي، أو وجاهة اجتماعية.

كما أنه لا يعني أن تكون طبيبًا فقط لتصبح مديرًا لمستشفى، ولا كابتن طيار فقط لتصبح مديرًا لمطار، فلا يعني أن تكون مثقفًا فقط لتقود منظمة ثقافية يرى فيك المثقفين المغلوبين طوق نجاة، وكم من منظمة محتها الأيام فقط لأنها لم تعي ذلك، أو ظنت بأن وجودها في القمة كافيًا لاستمرار البقاء.

إننا نجد أقسامًا خاصة في كليات الإدارة في الجامعات لديها تخصصات في إدارة المستشفيات، والإدارة الفندقية، وغير ذلك، وهنا نسأل: لم لا يكون هنالك قسم خاص بالإدارة التطوعية؟

إن إدارة العمل التطوعي هي أكثر حساسية من غيرها من الإدارات للأمور التي ذكرناها، ولذلك هي بحاجة إلى دراسات وأبحاث في جانبها، فمن هي الجامعة التي ستبدأ بذلك؟

إنه ليس من المستحيل أن تقاد مؤسسات تطوعية بميزانية خالية، وتطويع كوادرها لتبقى للعمل معها رغم كل الظروف النفسية والصعوبات التي قد تواجههم، لو ملكنا فكرًا إداريًا قادرًا على تحقيق ذلك.

إنه وحتى يتحقق المأمول من منظماتنا الثقافية في خدمة المجتمع بكافة أطيافه ينبغي العمل على ما ذكرنا، دون اجتهادات غير مسؤولة، أو البحث عن استعطاف الجهات الرسمية، واستعطاف المجتمع بحثًا عن دعم أو بكاء على أطلال، فتصبح مؤسسات تطوعية تبحث عن من يبقيها على قيد الحياة ولو بقطرة ماء، بدلًا من أن تكون نهر جار يشرب منه أبناء المجتمع ويرون فيها حياة.

فوبيا المظلة الإسلامية

كثيرة هي تلك المنظمات والمؤسسات التي تعمل داخل مجتمعاتنا على المستوى المحلي، أو الإقليمي، أو الدولي، لتقدم خدماتها التطوعية لأفراد المجتمع في شتى المجالات.

ذكر المؤرخون بأن العمل التطوعي قد بدأ رسميًا في القرن الثامن عشر الميلادي من خلال شخص اسمه M.Fr.Voluntaire ، ولذلك اشتقت كلمة تطوع من معنى اسمه، ولا شك بأن العمل التطوعي كان موجودًا قبل ذلك التاريخ بقرون عديدة، فالإنسان جُبل على تقديم خدمات بلا مقابل مادي أو حتى معنوي ليستفيد منها الغير (وهذا المعنى الذي أرى أنه الأنسب لتعريف التطوع)، والإسلام كذلك كان قد رغب في التطوع ودعا إليه، لما فيه من أثر كبير على حياة الناس وعلى المجتمعات.

انتقل العمل التطوعي مع تطور الحياة المدنية من العمل الفردي إلى العمل المؤسسي ليصبح أكثر تنظيمًا، فأنشأت مؤسسات المجتمع المدني الكثير من المؤسسات والمنظمات التطوعية، مع بقاء الجهود الفردية

التي استمرت في تقديم خدماتها التطوعية للمجتمع، وهنا بدأ العمل التطوعي ينحني منحنًا آخرًا، فأصبحت المنظمات والمؤسسات التطوعية تُستخدم كقوة ناعمة تم الانتباه لها من قبل الحكومات وبعض المؤسسات المدنية لتُنفذ من خلالها أجندة وبرامج لتحقيق أهداف ورؤى معينة.

اهتمت الكثير من المنظمات والمؤسسات التطوعية بخدمة الثقافة والمثقفين، وهذا أمر طبيعي، فالخدمات التطوعية تشمل كافة المجالات الإنسانية، بالإضافة إلى أن الساحة الثقافية بالذات هي الأرض الأكثر خصوبة لتوعية المجتمعات، وكذلك لبناء قوة ناعمة، لنشر أو محاربة أفكار، وصناعة رأي عام، وهذا بالضبط ما تنبهت له الحكومات والهيئات السياسية العالمية فأصبحت داعمة لها، خاصة في جهودها وحروبها لمواجهة الأفكار المضادة لتوجهاتها، وبالأخص الدينية، لأنها تعلم جيدًا تأثير الدين الروحي على الناس، ومدى تمسكهم به لو لامس قلوبهم، ولذلك فإن تغلغل الدين في تفاصيل حياتهم، ومعايشته لهمومهم، وسعيه لحلها معهم من خلال مؤسساته التطوعية فإنه سيزيد من شعبيته بين الناس بالتأكيد، وذلك سيؤدي إلى مواجهات بينهم وبين الفكر الديني في المجتمع، فيمنع الكثير من مشاريعهم، ولذلك كانت هذه المؤسسات الثقافية هي القوة الناعمة التي يتم استخدامها لمواجهة الفكر الديني في

كافة المجالات عن طريق بث أفكار مضادة لتشويه الأفكار الدينية وتجريمها، ثم لفصل الدين عن الحياة بعد ذلك.

تأثر الكثير من المثقفين بذلك، والذين كان يفترض عليهم حماية الفكر الثقافي عند الناس، فلم يفكروا في حماية أفكار المجتمع من أي فكر مضاد، ونسوا دورهم الحقيقي، وقد يعود ذلك لأسباب كثيرة يمكن أن نلخصها في أن بعض المثقفين لا يرغبون في مواجهة مع أي جهة يرون أنها أقوى منهم، أو صاحبة سيادة، قد تضر بهم، أو على الأقل قد تؤثر على مسيرتهم وعلى مشاريعهم الشخصية، وصعودهم إلى منصات التكريم، فرضخوا لها تحقيقًا لمصالحهم، أو أنهم قد تشربوا من أفكار أخرى مستحدثة، أُعجبوا بها فأصبحوا مدافعين عنها، والدفاع هنا قد لا يكون باقتناع كامل أحيانًا، بل أن ذلك قد يكون نكاية بأفكار أرادوا البراءة منها تحت أي ظرف.

للأسف انجرف مع التيار الكثير من المثقفين الذين يصنفوا على أنهم من المحافظين الذي يرون بأن مبادئ المجتمع هي الحافظة للناس في زمن الانحلال الأخلاقي، لكنهم فضلوا أن يبقوا في المنتصف على الدفاع عن مبادئ مجتمعاتهم، ظنًا منهم أن ذلك يحقق المصلحة العامة، وبقائهم في الساحة، ورأينا كيف وصل أثر ذلك حتى لمؤسساتهم الثقافية، فأصبح البعد عن النقاشات والموضوعات الدينية كمثال، هي من الأشياء التي

يعلنوها صراحة في مؤسساتهم ليبينوا وسطيتهم، تلك الوسطية التي يتغنى بها الجميع، ولا يعلمون بأن الوسط لا يعني بين وبين، وليس مع أو ضد، فالمعتقدات لا تقبل بوسطية بين وبين، بل إما بتمسك، أو ترك، والترك هنا يشمل الإفراط والتفريط، لأن الإفراط هو ترك المطلوب بعمل ما هو غير مطلوب، والتفريط هو ترك عمل المطلوب، والتمسك لا يعني الوسطية بينهما كما أوهمونا، بل في فعل المطلوب، تمامًا مثل القوانين التي إما أن نطبقها أو نخالفها.

إن الشعار الذي اتخذته الكثير من المؤسسات الثقافية في البعد عن الموضوعات والنقاشات الدينية من باب نبذ الخلاف هو السلاح الذي نجحت به الحكومات والهيئات السياسية في حربها الناعمة لإخراج الدين من المشهد الثقافي، وكل ذلك لأنهم يعلمون جيدًا بأنهم لن يستطيعوا مواجهة الدين فكريًا، فالدين هو الغذاء المثالي للروح الذي لو تبناه المثقف لغذى به كل أفراد المجتمع دون منغصات، فهو الأكثر قبولًا حتى في زمن محاربته.

ما يؤسف حقًا ليست تلك الحرب التي تم شنها، فهذه سنة التدافع في الأرض ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ سورة البقرة252، بل المؤسف هو تأثر مثقفي المجتمع بذلك، فأصبحوا يتحاشون أن تتلبس منظماتهم، ومؤسساتهم الثقافية أو أحد أقسامها بلباس إسلامي،

فأصبحت كل مظاهره مُحارَبة داخل المؤسسات الثقافية حتى أصبحت تلك المؤسسات تخدم أعدائها بحيادها، قصدت بذلك أم لم تقصد.

إن المظلة الإسلامية أصبحت تهمة ليس لأنها لم تجد من يدافع عنها ويبين حكمتها، بل لأنها وجدت من يبحث عن تبريرات وأعذار لأفكارها أمام العالم.

إن المحسوبين على الثقافة الإسلامية قبلوا وبكل أسف بتهمة تطرف الفكر الإسلامي بدايةً فبحثوا عن أدلة براءة فكرهم الإسلامي دون أن يطالبوا بإثبات التهمة إن كانت حقًا موجودة، إنهم وبكل أسف خشوا على أنفسهم من تهمة التعصب للدين فغيروا جلد مؤسساتهم، وقدموا تنازلات ليقبل غيرهم باندماجهم معهم، ولو كان الميل للإسلام تعصب في نظرهم، فالإصرار على فصل الدين عن المجتمع تعصب آخر للعلمانية، ولا يمكن أن نسمي كل ذلك حياديه فالاستسلام لطرف لن يعني الحياد.

كلنا يتذكر الرئيس الأمريكي الأسبق بوش الابن، أثناء غزوه العراق عندما قال: إن لم تكونوا معنا فأنتم ضدنا، قالها لأنه يعلم بأن المحايدين هم الأعداء الحقيقيين لأنفسهم قبل أفكارهم ومبادئهم، وهو يعلم جيدًا بأن معركته في الشرق الوسط فكرية قبل أن تكون عسكرية، وأن حياده هنا

لن يحقق له أهدافه، فكان واضحًا في تمسكه بمبادئه، ودخل الشرق الأوسط واضحًا، وأصر على أن يُظهر الجميع هنا مواقفهم.

للأسف لم نفهم بوش، حينها، و لم نعلم بأن الحياد في المبادئ يعني موتها تدريجيًا، فأضعنا أوطاننا، قبل أن يحتلنا بوش، وها هي غزة تثبت لنا صحة ذلك الآن عندما اختارت عودتها عن طريق الدين تمامًا كما يرى اليهود أنه طريق سيادتهم وإن كان باطلًا.

إن الحقيقة لا تقبل أنصاف الحلول، وهذه الجملة كان من المفترض أن تكون المبدأ الأول لأي مؤسسة ثقافية قائمة تبحث عن الحقيقة ولا شيء سواها.

إن من يظن بأننا نستطيع أن نحيد الثقافة عن الدين تجنبًا لأي صراع فهو واهم، ذلك لأن الدين مرتبط بالفكر، والفكر مرتبط بالثقافة، والثقافة دائمًا تبحث عن الحقيقة، والبحث عن الحقيقة لابد فيه من صراع، سواءً مع النفس أو مع الغير الذي لا يرغب بأن نعرف الحقيقة، والصراع هنا ليس المقصود منه القتال لإثبات الحقيقة، بل نقاشات ثقافية علمية، قد يشعلها حربًا الأقل وعيًا، ولذلك فالتوقف عن الصراع يعني التوقف عن البحث عن الحقيقة، وتوقف البحث عن الحقيقة يعني التوقف عن التفكير، والتوقف عن التفكير يعني غياب للثقافة، وعند غياب الثقافة

لنسمي مؤسساتنا بأي اسم آخر بعيدًا عن مسمى اتحاد أو منظمة ثقافية ففاقد الشيء لن يعطيه.

الرواية اليمنية.. إلى أين؟

من حسن حظ اليمني أنه ورث تركة على أرضه لا يستهان بها من إرث حضاري ضخم كان منطلق لحضارات الدنيا من حولها، فصنعتها، أو ساهمت بها على مر التاريخ، مما يجعلني أجزم بأن اليمن تجاوزت مرحلة أن تكون بلدًا لها حدودًا جغرافية، أو أن يكون لها نشيدًا وطنيًا يميزها كغيرها، فهي (جد الدنيا) بلا شك، لا تشارك العالم في تلك التقسيمات الجغرافية أو الحدود الدولية، فكل مكان في هذا العالم لها فيه بذور، زرعتها لأهلها، ليكملوا سقايتها، فأنبتت تراثًا يسر الناظرين.

لست هنا بصدد الحديث تاريخيًا، فالتاريخ تكفل بكتابة كل شيء، لكن ماذا عن حاضرنا كيمنيين؟ وكيف سنرسم المستقبل؟

هل يستطيع اليمني أن يواصل إبداعه ليحافظ على ذلك الإرث ويستمر في تقديم مجتمعه للعالم؟

العالم لا يقف، بل يواصل سيره، والتاريخ كالشجرة الكبيرة التي يُتكئ عليها لتظلنا وتُطعمنا، لكنها بحاجة لأن نستمر في سقايتها بالماء لتستمر هي لنا بالعطاء ولا تيبس، فالتاريخ وإن كان لا يموت لكنه قد يهرم.

من المعلوم بأن الثقافة هي ترجمة للحالة الحضارية للمجتمعات، ونحن كيمنيين كانت لنا كل المقومات لأن تكون لنا حركة ثقافية خالدة، ومستمرة، ولذلك كان لنا ما كان.

دعونا من الحديث عن الماضي، والذي لو تحدثنا عنه لتحدثنا عن ثاني أقدم مكتبة في التاريخ، وهي مكتبة معبد أوم بمحرم بلقيس بمأرب، والتي تعود إلى 1500 قبل الميلاد، أي أن تاريخها تجاوز أكثر من 3500 سنة، وهذا يفسر لنا أحد أهم أسباب سر وجود كل هذا الإرث الحضاري الكبير في اليمن، لكن لو تأملنا في الحركة الثقافية العربية في العصر الحديث كمثال وسألنا أنفسنا: أين هو اليمني منها؟

ما سر غياب الأديب والمفكر اليمني عن الساحة الثقافية العربية؟

أين هي الرواية اليمنية بين نظيراتها العربية؟

أين هي من الجوائز العالمية؟

من سيقدم البيئة اليمنية للعالم في ظل تقصير الأديب اليمني في تقديم مجتمعه للعالم من خلال رواياته؟

لماذا أصبح العالم جاهلًا بالبيئة اليمنية، وهي التي كانت حكاياتها تسود الدنيا، حتى تناقل أخبارها الهدهد، وعرف الجن أبسط تفاصيل أريكة في أحد قصورها.

هل اكتفينا بما ذكرته كتب التاريخ، وأن ليس هنالك حاجة في العصر الحديث لإبراز تفاصيل حياتنا ومجتمعاتنا للعالم من خلال رواياتنا؟ أم أن الأديب اليمني قصر في نقل موروثه للعالم من خلال رواياته وقصصه؟

هل نجح الجيل الأول في رسم خارطة طريق للرواية اليمنية؟

لو تأملنا لواقع اليمني في العصر الحديث، ليس في المجال الأدبي فحسب بل في شتى مجالات الحياة، لوجدنا أنه يمتلك قدر كبير من الإبداع، ويحمل نفس روح اليمني القديم، لكن الحياة عصفت به بسبب التغيرات السياسية في العالم الحديث، والظروف الاجتماعية داخل اليمن.

قديمًا كان اليمني يبدع من أجل أن يضيف للدنيا، فصنع حضارة لم يكتفي بالاستمتاع بها، بل ونقلها للعالم.

كانوا اليمنيون أولوا قوة، وأولوا بأس شديد، عاشوا بمدنية حقيقية، صنعها معهم ساسة ما كانوا يقطعون أمرًا حتى يستشيرون، فاستطاعوا أن يغيروا العالم ويضيفوا له.

إن الحياة المدنية العصرية، وإن كانت في الزمن القديم، ساعدت اليمني على الإبداع، فقد منحتهم الطمأنينة التي يستطيعون من خلالها إبراز حضارتهم ونقلها للعالم بشتى الطرق.

تلك الطمأنينة التي لم تكن لتتحقق لولا الاستقرار الاجتماعي، والاقتصادي، والتي كانت نتيجة استقرار سياسي بلا شك، ولو تأملنا الحياة المدنية لليمني في العصر الحديث لوجدنا أنه يعاني فيها بقدر كبير لم يعانيه على أرضه عبر التاريخ.

هو لم يرفض الحياة، لكنه اصطدم بواقع سياسي نتج عنه صعوبات اجتماعية، واقتصادية، غيرت منه لشخصية تبحث عن فرص البقاء على قيد الحياة.

نعم، مازال هنالك إبداع لكنه تحول من إبداع لصنع الحياة إلى إبداع يرغب من خلاله إلى طرق يبقى فيها على قيد الحياة.

ساير اليمني واقعه، وانشغل بحياته، وعاش يبحث عن لقمة عيشه، معتمدًا على مواهب كان يفترض أن يقدم من خلالها لوطنه وللعالم، فآثر

أن يستخدمها لنفسه، ولا يلام بدرجة كبيرة في ذلك، ففرص البقاء على قيد الحياة لم تعد كالسابق.

يتحمل الروائيون نقل حضارتهم ومجتمعاتهم للعالم من خلال الرواية، وهم بالتأكيد يختلفون عن المؤرخين الذين يغلب عليهم سرد المعلومات، بينما الروائي ينقل لك الحياة بتفاصيلها بقالب شيق، لكن هل استطاع الروائي اليمني أن ينقل الواقع اليمني بتفاصيله للعالم؟

هل نجح كغيرة في تقديم وطنه للعالم، وتفاصيل بلده المكانية، وأحداثه الزمانية؟

أين الروايات التي تتحدث عن معاناة اليمنيين في القرن الماضي؟

أين هي عن الاحتلال الإنجليزي؟

أين هي عن قضايا المغتربين في تسعينيات القرن الماضي، وما بعد ذلك؟ وحال الأسر اليمنية حينها؟

أين تلك الروايات التي تتحدث عن الوحدة اليمنية، وعن الثورة؟

أين تلك التي تتحدث عن الحياة في صنعاء، وعدن، وتعز، والحديدة وغيرها؟

عن باب اليمن، وقلعة القاهرة، وجامع الجنيد، وبحر الحديدة، والتواهي، والشحر، وشجرة دم الأخوين؟

عن البيوت القديمة، وقمرياتها، وعن صوت الأذان؟

عن السلتة، والفحسة، وبنت الصحن، والكعك، وشجرة البُن، وليالي العيد؟

عن معاناة رب الأسرة، وعن عفاف الفتيات اليمنيات، بعيدًا عن الاستخفاف الحاصل في نقل صورة سيئة عنهن؟

عن الحياة في القرية؟

عن الأوضاع الاقتصادية، وعن هذه الحرب التي عانت منها حتى الدواب؟

وظف الروائي اليمني قلمه لخدمته، حاله حال الكثير من اليمنيين في شتى المجالات الذين استغلوا إبداعهم لخدمة فرصهم في العيش كما ذكرنا، وأراد أن يصل بقلمه بعيدًا بين صناعة اسمه، أو إضافة مادية تعينه على البقاء، ولا نلومه هنا، فلم ولن يجد دعمًا ماديًا، أو تأمينًا لوظيفة يقتات منها، ولم يجد دعمًا إعلاميًا يسلط عليه الضوء، فكان بحاجة لأن يبحث عن مصادر ذلك الضوء، فالإنسان بطبعه يتطلع للبروز، أو على الأقل لن يفرط بفرص البقاء على قيد الحياة، ومع كل تلك الصراعات لإثبات الذات، أو الرغبة في البقاء، غاب عن الكثير من الأدوار التي كان يجب عليه أن يؤديها ليصل بالرواية اليمنية لمكانها

الطبيعي بين نظيراتها العربية والعالمية، وينقل قضايا مجتمعه، ويعرف به، فكان يكتب بحسب ما يخدم أهدافه، أو مسايرة السوق من أجل تحقيق انتشار، أو يطلق لفكره الخيال فيكتب لينسى ضغوطات الحياة.

لم تنحصر صراعات الروائي اليمني في إثبات الوجود، وتقلبات الحياة المعيشية، بل تعدى الأمر لدى الروائي إلى محاولته إنكار التهم الموجهة إليه، فالروائي حاله كذلك حال غيره من اليمنيين البارزين في المجتمع متهمين بانتمائهم السياسي والحزبي، قبلوا بذلك أو رفضوا، فما إن يبرز اسمه حتى يبدؤا بتصنيفه وفق منطقته التي ينتمي إليها، أو وفق رأي صرح به ووافق حزبًا أو خالف آخر، أو بحسب صداقاته ودائرة علاقاته، وفي هذا الجانب نحن في بلادنا متهمين لن تثبت براءتنا حتى وإن غابت أداة إدانتنا.

إن نقل الواقع اليمني حتى في أسوء الظروف يبقى أمانة لابد من استشعارها سواء من الروائيين أو من غيرهم ممن كان مجاله نقل الواقع، وتمثيل أمته، فالأمر هنا ليس مقتصرًا على السفراء، فالسياسيين في العالم العربي أصبحوا جزءًا من المشكلة لا الحل، فضلًا عن كونهم ليسوا المخولين الوحيدين بصناعة وطن.

إننا مازلنا نقول بأن الجيل الأول من الروائيين اليمنيين لم يذهب ليكمل غيره الرسالة، لأننا مازلنا نبحث عن الطريق لنرسم خارطته، والتي

لابد منه لنواصل المسير أو على الأقل لنقول بأن لدينا خارطة في بلد مزقت الحروب كل طرقه، ولم نعد نعرف أين الطريق إلى الوطن.

صحيح أن المكتبة اليمنية لم تخلوا من روائيين كتبوا ونقلوا قضايا وآلام بلادنا، وتفاصيل حياتنا، وتاريخنا الثري، لكنهم قليل، ولذلك مازلنا بحاجة إلى الكثير والكثير، حتى نقول بأننا وصلنا لبداية الطريق، ولن يستطيع الروائيون وحدهم رسم خارطة لذلك الطريق، فهم بحاجة لكافة مؤسسات البلاد ليرسموه معهم دون أن يكون مائلًا، تمامًا كما هي تلك المؤسسات بحاجة لبعضها لتصنع لأبنائها مكانة في هذا العالم، فعدة وجوه قد يرسمها رسام واحد، بينما لن ينجح في رسم طريقًا يصل بنا لما نريد إلا عدة رسامين نتمنى أن يكون الساسة بينهم.

الطوفان

لن تستمر الأمور كما تريدون، فلابد لليل أن ينجلى، ولابد للقيد أن ينكسر، كما قال أبو القاسم الشابي في رائعته: إذا الشعب يومًا أراد الحياة.

منذ بداية توافد الصهاينة إلى أرض فلسطين في القرن الماضي بتنسيق بريطاني، مرورًا بالإعلان المزعوم لقيام دولة إسرائيل، إلى ما قبل أيام، وبالتحديد ما قبل عملية طوفان الأقصى، والصهاينة يرون أن كل شيء على ما يرام، وكما هو مخطط له، برغم كل ما سبق ذلك من عمليات قامت بها بعض الفصائل الفلسطينية، والتي كانوا يرون على أنها ليست أكثر من خربشات، ولن يحدث أكثر من ذلك، فالجيل الذي عايش مذبحة دير ياسين، وجنين، وصبرا وشاتيلا، وغيرها من جرائم وتهجير، توفي أو استشهد أغلب معاصريه، وبالتأكيد ستنشأ أجيال، جديدة وإن حملت كرهًا للصهاينة فلن تكون في شدة من سبقهم.

إن الصهاينة يراهنون على الوقت، في طمس فكرة الاحتلال لدى الفلسطينيين والشعوب العربية والإسلامية، والرضى بالواقع، والقبول بالعيش تحت دولة إسرائيل كما يزعمون، ولم يعلموا بأن الأجيال تسلم بعضها البعض ملف القضية، وتعلم جيدًا بأن نصرهم على عدوهم غير مرتبط بقدراته العسكرية، بل بمتى ما قرروا الرجوع لربهم لا لأرضهم، فالعودة إلى الله ستأتي بكل شيء.

إن أهل فلسطين استشعروا ذلك الأمر، وعملوا على تحقيقه، وتجهزوا إيمانيًا وعسكريًا، واستعانوا على قضاء حوائجهم بالكتمان فتفاجأ الأعداء بما سطروه في السابع من أكتوبر، وما خفي بالتأكد سيكون أعظم، فلا مجال للعودة إلى نقطة الصفر طالما أن ليس لديهم ما يخسروه.

إن الأوطان لن تُسترد إلا بالقوة، وهذا ما فهمه أبناء فلسطين، وهذا كذلك ما ينبغي علينا أن نفهمه نحن أيضًا، فكل مبادرات السلام ماهي إلا مسكنات لها آثارها الجانبية، أقلها نسيان القضية قبل القضاء عليها.

إن كل مبادرات السلام التي تبنتها القوى العالمية اتضح زيفها عندما قرر الفلسطينيون استعادة أرضهم، فكشرت تلك القوى عن أنيابها وظهر دعمها لحليفها الصهيوني المحتل.

إنهم قدموا السلام ومبادرات الحل ليعمل ذلك الحليف على عامل الوقت كما ذكرنا.

إن من يؤمن بمظلوميتك سيدعمك للحصول على حقك، أما عن مبادرات السلام التي شهدها العالم في كل أرجاء المعمورة فإن من يقدمها عدو له مطامع لا تقل عن مطامع العدو الظاهر.

من المؤسف وفي خضم ما يسطره أبناء فلسطين من بطولات أذلت الكيان الصهيوني أن نرى من يتحدث على أن ما فعلته الفصائل الفلسطينية هو عمل همجي ستكون له عواقبه الوخيمة على المدنيين في غزة، وبقية المناطق الفلسطينية، إنهم يتحدثون وكأنهم محللون في استوديو تحليلي لمباراة كرة قدم.

إن حديثهم هنا لا يقل عما تغنوا به سابقًا من أن أهل فلسطين خونة، باعوا أرضهم، وتاجروا بقضيتهم.

إنها كلمات لم يقلها أولئك المثبطون إلا فقط لتبرير تخاذلهم عن نصرة إخوانهم، كما فعلوا ذلك مسبقًا وتكرارًا للتنصل عن نصرة القضية، بل عن نصرة كل مناضل من أجل قضيته.

إن أهل فلسطين يؤمنون بأهمية مواجهة الصهاينة، فهي الحل الوحيد على الأقل لتأمين عيش كريم لأبنائهم، والخروج من السجن الكبير الذي

فرضه الصهاينة والعالم عليهم، ولذلك لم يفكروا بحتمية الموت كثمن لهذه المواجهة، والذي ينتظرونه بسعادة، فهو طريق الشهادة لهم والحياة الجميلة لأبنائهم، ولا نامت أعين العملاء وأدواتهم.

إن الكيان المحتل لابد له من نهاية، فلن يكتب الله الخلود في الأرض لمغتصب، ولن تُخرج الأرض ثمارها لمن يسقيها بدماء من ظلمهم، لابد أن نفهم ذلك جيدًا ونحن نرى كل معتدي على أرضنا، وعندها سيكون ذلك هو الوقود الذي نتزود به لمواجهته واسترداد حقوقنا مهما بلغت قوته الظاهرة، لأن القوة لا تقاس بحجم العتاد بل بصدق قضايانا وإيماننا بها.

إن قضية كقضية فلسطين لن يتحملها إلا الشرفاء، لذلك هي ثقيلة على غيرهم.

نعم يمكن أن ينافقوا في التظاهر بنصرتها، لكن يستحيل أن يطول بهم ذلك وتتحملها ظهورهم، التي لا أظن أنها تصلح إلا للركوب عليها لتقاد حيث يريد سيدها.

إن طوفان الأقصى هو الإلهام الذي يشعرنا بدورنا لنكمل معهم مهمة عودة أوطاننا لنلتحم كأمة واحدة.

إن أطفال الحجارة كبروا، وكبرت معهم حجارتهم فأصبحت حجارة من سجيل تتفجر في قلب عدونا، وإننا لا نملك إلا أن نقول لهم كما قال نبينا ﷺ لسعد بن أبي وقاص في غزوة أحد: (ارم فداك أبي وأمي).

ماذا لو تم تمديد مباريات كأس العالم لمائة يوم؟

كأس العالم بطولة كروية هي الأضخم رياضيًا على مستوى العالم، والتي تستمر شهرًا كاملًا مرة كل أربع سنوات، تتنافس فيها دول العالم برعاية الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا).

ثلاثون يومًا من المتعة والحماس والمفاجآت، لا تقتصر متعة كأس العالم فيما يجري فقط داخل المستطيل الأخضر، بل يتجاوز الأمر إلى خارج ذلك المستطيل، من أحداث وتصريحات ومعارك، بل وقضايا قد تصل إلى حد الإيقاف، وفرض غرامات بمئات الآلاف، ناهيك عن سوق سوداء، ومراهنات ترعاها مؤسسات وجدت لأجل ذلك وتديرها أحيانًا مافيا.

لذا هي ليست مجرد لعبة، بل إثارة يعيشها العالم خلال الثلاثين يومًا، تتوقف خلالها الكثير من الأعمال، وتؤجل الكثير من المصالح، فلا لغة غير لغة كرة القدم، وربما قد تصل إلى مقاطعات بين دول، ليأتي دور المحللين السياسيين هنا للمشاركة والتحليل، وربما الدبابات.

تنتهي الثلاثون يومًا وكأنها تُنتزع منا انتزعًا، فنبدأ بسكرات الضيق لنغرغر بكلمات: ألا ليت الأحداث تعود لتبدأ من جديد، وهنا قد يتبادر في أذهاننا السؤال الأمنية: ماذا لو تم تمديد مباريات كأس العالم لمائة يوم؟

حقًا، ماذا لو تم تمديد مباريات كأس العالم لمائة يوم؟

هل سيفرح العالم بذلك؟ أم سيصاب الناس بالملل والضيق بعد مضي أربعين يومًا منها؟

هل سيتضايقون من كثرة رسائل أخبار البطولة على هواتفهم، مستمرة في نقل مستجدات الأحداث؟

هل سنصاب بالملل من تكرار نفس نص تلك الرسائل على هواتفنا لتقتحم الخاص من أكثر من صديق، لتصور ملخصًا عن إحدى المباريات وإعادة لأهدافها؟ أو لتنقل لنا حدثًا من خلف كواليس اللعبة؟

ماذا لو كان توقيت المباريات يصادف الثانية بعد منتصف الليل؟ هل سيستمرون بالسهر أم أنهم سيستسلمون بعد مضي خمسين يومًا؟

بالتأكيد لن نمل من كل ذلك، بل وسنقول وعلى طريقة السلف: ليت السنة كلها كأس عالم.

نعم هكذا نحن، سنسهر حتى الصباح لنتابع المباريات، ولن ننام قبل مشاهدة البرنامج الرياضي، لنخرج بعدها إلى أعمالنا ونتابع نقاشاتنا مع زملائنا هناك، ثم نبحث عن خلوة لنقلب فيها رسائل هواتفنا عبر الخاص، أو في مجموعات التواصل، لنواصل الحديث والتحديات بنتائج المباريات مع أصدقائنا.

نعم، سنكرر ذلك دون ملل أو اعتراض من طول أيام المونديال.

كل ذلك يجعلنا نبحث عن سبب علمي يفسر: لم أجسادنا وعقولنا تتكيف مع هذا الحدث دون ملل أو رغبة بالخروج عن أجواء كأس العالم لتعود لحياتها الطبيعية؟ وهل هذا السبب مرتبط بكأس العالم دون غيره، أم مع كل أمر يمر بنا في حياتنا؟

حتى كورونا تقبلنا حبستها لنا في المنازل، ولو كنا نملك دخلًا ثابتًا يضمن لنا تدفق المال أثناء مكوثنا بمنازلنا لما رغبنا بزوال الأزمة، لكن ماذا عما يجري مع أحداث غزة؟

لماذا استسلمنا بعد شهر من الأحداث؟

أين حماسنا الذي عشناه مع القضية في بداية الحرب؟

لماذا أصبحنا نتضايق من استمرار القنوات بنقل أحداثها؟

لماذا نتضايق من رسائل أصدقاءنا عبر وسائل التواصل والتي تذكرنا بما يجري في غزة؟

لماذا عدنا للامبالاة بأحداثها؟

هل هي لا مبالاة أم خوف؟!

أم هل وصلنا لدرجة التشبع من الأحداث؟

هل تفاعلنا مع الحدث كان مسايرة للجو العام؟

هل لأننا مللنا مشاهدة القتل والقصف؟ أم أن ما يجري يضعنا في حرج من نشر لحظات السعادة التي نريد أن نعيشها دون أن يلومنا أحد أو يشعرنا بالنفاق تجاه ما يجري من أحداث؟

هل فعلًا لا ينبغي لنا بأن نعيش مظاهر فرح، أو أن نحرم أنفسنا من أن نعيش حياة طبيعية فقط لأن أخوة لنا في مكان آخر يعيشون القتل والتدمير؟

لماذا يُطلب منا أن نفعل ما لا نملك؟ بمعنى ماذا نستطيع أن نقدم أكثر من الدعاء؟

وطالما أننا لا نملك أكثر من الدعاء، هل مطلوب منا أن لا نغادر مساجدنا ولا نتوقف عن القنوت؟

بالمناسبة، من أخبرنا أو زرع فينا فكرة أننا لا نملك أكثر من الدعاء؟ ولماذا يصرون على ذلك؟

هل مطلوب منا أن نترك مصالحنا وبحثنا عن الرزق من أجل قضية لن نقدم فيها أو نؤخر بحسب ما يقولون؟

طالما أن الحياة ماتت هناك لم نقتلها هنا أيضًا؟

لا بد أن نعلم بأن غزة مرحلة نحن التالي منها، وأن قصة (أُكلت يوم أُكل الثور الأبيض) لم تُكتب لأجل أن ينام على تفاصيلها الأطفال كل مساء، بل لنأخذ عبرة من تلك الثيران، قبل أن نصبح نحن عبرة لأجيال لاحقة في كتب التاريخ وليس في قصص الأطفال، وبالتأكيد التاريخ لن يرحم مثل قصص الأطفال.

إنه لمن العار أن نقول أنه يجب أن نستشعر ما يجري هناك وندفعه لأننا المرحلة التالية مما يجري، بل لا بد أن ندافع ونقف بكل ما نملك لأنهم جزء منا، وليسوا مرحلة قبلنا.

من المؤسف أن البعض منا يريد تتوقف أحداث غزة بأي شكل كان، حتى لو كان ثمن ذلك انتصار الكيان الصهيوني، فقط لأجل أن ينتهي كل شيء وتعود الحياة إلى طبيعتها، ويستطيع أن يستمتع بلحظاته دون أن يأتي من يقول له: كيف تفرح وأخوة لك هناك في خط النار؟

لنعلم أن فلسطين ليست مرحلة لابد أن نمر من خلالها لنثبت أننا مسلمون، ثم بعد ذلك نفرح بتخرجنا من إثبات ذلك الولاء لها ونحن محتفظون بذكريات تفاعلنا معها، بل هي قضية لابد أن نعيشها تمامًا مثل قضية الرزق التي نستشعر أنها قضيتنا من أجل البقاء، فنخرج للبحث عن ذلك الرزق دون ملل أو توقف لأننا نعلم بأن التوقف هنا يعني نهايتنا، وليست هي موضة نلبسها في الصيف لنخلعها في الشتاء بسبب تقلبات الأجواء.

نقل المعلومات

لو تأملنا ما يحدث الآن في غزة، وما حدث قبل عقود من قيام الجيش المحتل بمجازر في دير ياسين وغيرها، والتفاعل الشعبي والعالمي مع الحادثتين حينها، كنموذج للكثير من جرائم مماثلة داخل الأراضي المحتلة، أو حتى في بعض الأقطار العربية، لوجدنا فائدة التقدم التكنولوجي الذي نعيشه حاليًا في نقل الخبر.

إن التقدم الإعلامي في نقل المعلومة ساهم بلا شك في كشف الكثير من الجرائم حين وقوعها من موقع الحدث، وسرعة التفاعل الشعبي معها دون أن نكون بحاجة إلى متحدث إعلامي يروي لنا التفاصيل كما يريد هو بعد أن يكون قد قضى على ضحيته لتُروى تفاصيل أخرى، أو الانتظار لصبيحة اليوم التالي لنقرأ تفاصيل الخبر بعد أن دققته لغويًا أجهزة البلاد الأمنية.

بالتأكيد أن التطور في نقل المعلومات ساهم بشكل إيجابي في تفكير المجرم ألف مرة قبل الإقدام على جريمته، كما ساهم في صناعة قرار

شعبي كان من نتائجه ربيع عربي احتاج إلى صفحة فيسبوك ليعلن عن دخوله، لكن ذلك لا يعني كل شيء؛ فالتقدم التكنولوجي هنا كان له تأثيرًا سلبيًا ليس في صناعة الخبر، بل عند صناعته من خلال تقليل عدد الوظائف، مما تسبب في ترك الكثير لوظائفهم وتعطلهم عن العمل، كحالة متكررة في الكثير من مجالات الحياة الأخرى نتيجة ذلك التطور التكنولوجي الذي أثر بشكل سلبي على عدد الأيدي العاملة، فمدحه الأغنياء ولعنه الفقراء، فهل يكفر ذلك التقدم عن ذنبه بحق الفقراء في إزالة الفساد ليوفر لهم فرصًا أخرى للحياة، أم يستغله الأغنياء لشراء مكائن أقل تكلفة وتوفيرًا للرواتب، أم مازال الطواغيت يرفعون أيديهم بالدعاء بإزالة ذلك التقدم ليعود الستر على جرائمهم، ولا بأس حينها بدفع دراهم معدودة كرواتب شهرية لمساكين يعملون على خطوط إنتاج في مبنى تلفزيوني، أو مؤسسة صحفية، بعد أن يصلهم الخبر مكتوبًا على ورق من مبنى المخابرات، لا صوتًا وصورة من موقع الحدث.

باختصار؛ من خلال آلية نقل المعلومات يتحدد بشكل كبير الآلية التي سنعيش من خلالها، هذا هو كل شيء.

حكمة العالم

﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، آية نقرؤها فنبحث بين سطورها عن ما يعيننا في دنيانا، ونبحث في هذا العالم عن حكيم ننهل من خير ما يقول.

بالتأكيد أن صاحب الحكمة سينثر خيره على من حوله، فمن الحكمة أن يوجهها لنشر تلك الخيرية، والحكيم أول من يستفيد من حكمته.

الحكمة مصباح ينير لنا ما خفي على غيرنا، وما خفي على غيرنا لزام علينا أن نعلمهم إياه.

نسمع كثيرًا عن حكمة العالم، ومن أن الأمم المتحدة بحكمتها وبحكمة كبريات دولها استطاعت أن تجنب العالم الكثير من الحروب، والمآسي، والأزمات، وأنها ما جمعت العالم تحت مظلتها إلا لأجل ذلك، والسعيد من اعترفت به وقبلت به تحت مظلتها لينهل من حكمتها.

بالتأكيد أن لهذه الحكمة ثمرة هي الخيرية التي تتبعها، ولابد لنا من أن نشعر بهذه الخيرية نحن سكان الأرض طالما استظلينا بعصبة الأمم هذه.

مرت بالعالم الكثير من الأزمات، واعتدت دول على بعضها، وفي كل مرة تقف الأمم المتحدة في وجه كل جبروت.

والجبروت هنا لابد له من تعريف بالتأكيد حتى نفهمه، لكننا هذه المرة لن ندخل المكتبات للبحث في المعاجم عن معنى هذه الكلمة، ولا عن معنى كلمات أخريات نسمعها كثيرًا تحت قبة الأمم المتحدة، فالمعاجم وُجدت لنعود إليها في حل واجب مدرسي سيحسم المعلم من درجات المادة لو تأخرنا في إحضاره، لكن تلك المعاجم بالتأكيد لن تفيد أمام حكمة العالم الذي يرى ما لا نرى، وكيف نرى مثلهم؟ أليسوا هم الحكماء الذين يفصلون لنا ما نلبسه، لنستر به عوراتنا التي تسبب بها جهلنا، فسترتها حكمتهم؟

ذلك الجهل الذي أنسانا ونحن نرى أنفسنا بلباسهم الذي ستروا به جهلنا أن نسأل: كيف غابت حكمتهم بينهم؟

هل ادخروها لنا؟

لماذا علمونا بأن ضبط النفس أمام من ظلمنا رجاحة؟ وهم ينتقمون لأنفسهم بأيديهم؟

لماذا علمونا بأن الاحتفاظ بحق الرد أمام مغتصب أرضنا حقنًا للدماء؟ وهم يسيرون الجيوش لاسترداد شبر ذهب منهم، ويُشك في ملكيتهم له؟

لماذا يشيرون علينا بأن نبيعهم أسلحتنا في زمن الحرب؟ وهم يشترونها في زمن سلمهم؟

لماذا تحضر تلك الحكمة هنا وتغيب هناك؟

ولماذا نراهم يفاخرون بحكمتهم التي تدير العالم رغم أن السلام لم يحل به؟

هل هم حكماء حقًا وصادقون معنا لننهل منهم؟ أم أننا بحاجة إلى حكمة تعلمنا من أين نحصل عليها؟

إن الحكمة لا تصدر إلا من حكيم صادق علمته الأيام، ولا يتلقاها إلا فهيم عرف طريق ذلك الحكيم، وإننا قبل أن نسمع حكمة العالم لابد لنا من أن نفهم الحكمة من وجودنا في وسط ذلك العالم.

معركتنا الحقيقية

إن كانت أحداث السابع من أكتوبر قد قسمت العالم إلى معسكرين واضحين، معسكر خير ومعسكر شر، أو بمعنى أدق حق وباطل، وكشفت لنا الوجوه على حقيقتها لنخوض معاركنا بوضوح أمامهم على طريقة بوش الابن؛ إن لم تكن معنا فأنت ضدنا، فإن دورة الألعاب الأولمبية بباريس قد كشفت لنا أهداف معسكر الشر وقائده الحقيقي، وإلى أين يريد أن يتجه بنا.

نعم، فليست القضية كما هي واضحة للكثيرين منا في كونها صراع أرض أو حتى أنها مجرد صراع ديني، وإن كان الدين هو الوحيد الذي يملك مفاتيح الانتصار في هذه المعركة الكبيرة.

نرى دائمًا عملاء أمريكا والكيان الصهيوني بأنهم أدوات لأمريكا وللكيان، ولم نكن نعلم بأنهم أدوات لأدوات، فأمريكا وإسرائيل هما إحدى الواجهات السياسية للماسونية العالمية، والتي هي بالتأكيد عدونا

الحقيقي الذي ينبغي لنا أن نرتب أوراقنا وفق هذا المُعطى بالذات إذا أردنا حقًا الوقوف بشكل صحيح في معركتنا الحقيقية.

نعم، لسنا الآن في المكان الجيد على أرض المعركة، ولذلك لم ولن نحقق انتصارات حقيقية تقودنا للنصر الكبير في النهاية، لأننا نقف بوجه أدوات تتغير باستمرار، ومتجهين لغير قبلة الحرب الحقيقية.

إن هذه الأدوات ليست لتحقيق الانتصار الكبير لمن يحركها، ولكنها فقط لإشغالنا عن عدونا الحقيقي.

إن هذه الأدوات مجرد جنود تتنقل لتنفيذ مهام لوجستية بعيدة عن ميدان الحرب، وقد تظهر في صفوفنا وتلبس لباسنا.

إن الدين والسياسة هما الغطاء والواجهة التي اشغلتنا بها الماسونية في معاركنا معها، ورغم أهمية الدين والسياسة هنا لكنهما جزء من اللعبة وليست كل الحكاية.

إن الماسونية تدرك بأن عدوها الحقيقي هو الإسلام، ثم القيم.

إن الماسونية قضت على الدين في أوروبا، ولم يبقى أمامها إلا ذلك الدين القادم من الشرق الأوسط، والذي يشكل خطرًا على مشاريعها، فما كان منها إلا أن أشغلت المسلمين بصراع الإسلام مع الأديان لاستنزافه، وتركت أصحاب القيم إلى الوقت فهو كفيل بتغييرهم طالما فقدوا العقيدة.

لا يعني ما ذكرنا بأن نتحد كمسلمين مع الأديان من أجل مواجهة الماسونية؛ فلن يجدي ذلك الأمر ولن يغير في موازيين القوى، فالأديان سوى الإسلام ليست لديها القدرة لخوض أي حرب؛ خاصة بعد هزيمتها من العلمانية في أوروبا كما ذكرنا، ولذلك نجد الكنيسة أو أي معابد أخرى تستسلم بسهولة أمام العلمانية أو أي قيمة هدامة وتندمج معها لتحافظ على بقائها، ولذلك لم نشاهد من تلك الديانات حتى استنكارًا واحدًا أمام ماحدث في افتتاح أولمبياد باريس على سبيل المثال لا الحصر.

إن الإسلام وحده هو العقبة الأخيرة أمام الماسونية لتنفيذ ما تريد على هذه الأرض، لذلك نجد المخططات التي تحيكها الماسونية بحق أمة الإسلام سواءً سياسية أو اقتصادية أو غير ذلك.

إن الماسونية تحاول أن تنتصر أدواتها في حربها على الإسلام لأنها تؤمن بأن سقوط الإسلام يعني سقوط الحامي الحقيقي للقيم، والذي يعني إدارتها للعالم بالطريقة التي تريد.

إن الماسونية لا تفكر بالسيطرة الدينية لأنها تؤمن بأن سقوط الإسلام يعني خلو العالم من عدو ديني يهددها، وإن مشروع الديانة الإبراهيمية وجمع الأديان ليس المقصود منه توحيد العالم على ملة واحدة بل لاختصار مهمتها في قتل الأديان بعد جمعها تحت سقف واحد، ولا تفكر

العلمانية كذلك الآن بالسيطرة السياسية ابتداءً لأنها تفهم بأن السياسة باختصار تعني بأن الحكم للمنتصر، ولذلك لن يفيد الانشغال بها بدايةً طالما هي هدف محقق حال سيطرتها.

إننا ينبغي لنا أن نفهم اللعبة جيدًا، وأن ندرك حربنا الحقيقية، وأنها معركة قيم، وإن خط هجومنا فيها يكمن في تأمين المجتمعات دفاعيًا أولًا، وكما قيل في كرة القدم فإن خير وسيلة للدفاع هي الهجوم، وكما استطاعت أمتنا الانتصار في معركة العقيدة منذ أكثر من قرن من الزمان فلن تصعب عليها هذه المعركة التي رغم خطورتها إلا أن بساطتها تكمن في فقد عدوها لسلاح العقيدة، والتي هي الوقود الأول للإنسان وإن كانت باطلة.

إلى رفقاء الطريق

دائمًا ما أذكر في إهداءات كتبي؛ رفقاء الطريق، فيظن القراء أنهم مجموعة رفقاء، عايشوا معي الطريق، ونالوا نصيب المرافقة، لكنه واحد.

هو رفيق، فرد بقبيلة كما يقولون، بل هو بدولة بما يفعله، لذلك يأتي بصيغة الجمع، مجموعة حقيقية في فرد واحد، وليست صيغة الجمع التي يضيفها الكُتاب لأصحاب الوجاهة لتعظيمهم عند ذكرهم.

لا أعتقد بأن سطورًا في هذا المقال كافية لتفصيل صفاته، أو لذكر مناقبه، يكفي أنه رفقاء الطريق وكفى، ذلك الذي يغنيني عن دولة، فكان الوطن، ونشيدي الوطني، وقوتي.

الفهرس

المقدمة 7

أسلحة لا نتوقعها 9

دم شيرين 12

الحرب الخفية 15

في مدينة الأحزان 18

رباب والمنظمات 20

آنستنا يا عيد 23

القانون لا يحمي البؤساء 25

هزيمتي 27

وزير القهوة 29

شتاء بلا مطر 31

قسم تشارلز 35

احتلال الإنسان 38

تسرب الوقود 42

شجون ثقافية 44

الشذوذ أزمة أم حقوق 50

ماذا لو انقرضت اللغة العربية؟ 54

مطلوب سكرتيرة 58

هل كان هنالك احتلال عثماني؟ 62

كي لا يعلمون 66

لنسير على طريق الغرب 70

حرام ما نسكت 73

تكفيهم قطة 77

ماذا لو كنتَ صاحب المعلقة الإحدى عشر؟ 79

أريد وطني هكذا 82

اليمن وطريق العودة 85

موسم الصيد 88

النيجر والحديقة الخلفية 91

زامر الحي لن يطرب 94
باب ما جاء في ردة الفعل 97
أضحى مبارك 100
حتى نعود من جديد 102
بين المعقول واللامعقول 104
حذاء الطالبة وأمير سندريلا 106
المنظمات الثقافية بين مطرقة ضعف الموارد وسندان المصالح 108
فوبيا المظلة الإسلامية 115
الرواية اليمنية.. إلى أين؟ 122
الطوفان 130
ماذا لو تم تمديد مباريات كأس العالم لمائة يوم؟ 135
نقل المعلومات 141
حكمة العالم 143
معركتنا الحقيقية 146
إلى رفقاء الطريق 150
الفهرس 151

عندما يغيب المطر

كلماتي بين أيديكم، لنعيش معها
سوية شتى قضايا حياتنا، وآلامنا،
وكلي أمل بالله بأن نستفيد
منها جميعًا، وأن يحالفها القبول،
ويهطل المطر، ليحق الله الحق،
ويزهر الكون من جديد

@Rehab ali des

محمد علي الدباسي

محمد الدباسي
عندما يغيب المطر

دار رونق للنشر والتوزيع

9 789779 710556